
هشام فايز
سوف أصنع طائرة
قصص
كيان كورب
دار ليلى

٢٣٧٨٩٠

هشام فايز

سوف أصنع طائرة

كيان كورب للنشر والتوزيع
(دار ليلى)

الكتاب:
سوف أصنع طائرة

المؤلف:
هشام فايز

الغلاف:
محمد محمود

التنفيذ الفني:
حسام سليمان

التدقيق اللغوى:
السيد طلعت عواد

★★★

إدارة التوزيع:
عبد الله شلبي

الإشراف العام:
محمد سامي

★★★



رقم الإيداع: 2011/13828

الترقيم الدولي: 978-977-6386-48-8

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11
هاتف: (002) (02) 33370042 - (002) (012) 3885295
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

هشام فايز

سوف أصنع طائرة

كيان كورب للنشر والتوزيع

دار ليلى



مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب) منذ ما يزيد عن 4 سنوات، قد أطلقت مشروعها (النشر للجميع.. ولمن يستحق)، والذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها، والتي أصبح البعض منهم كتّابًا محترفين بعد ذلك، أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة، لمعوا من خلالها..

ومع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة، وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر،

التي تخيف طرفيها -الناشر والقارئ- على حد سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت -وبشدة- اقتصاديًّا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرًا، إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصًا منها على استمرارها في دورها، وإيمانًا منها -كما عهدتموها- بالشباب الموهوب..

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها "النشر لمن يستحق" لفترة محدودة هذا العام، وعلى مراحل، وبشكل استثنائي، لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائجها، على رأسها:

- توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم، وأيضًا عبر دار نشر لها اسمها ولله الحمد، مع كبار الكتاب.

- تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب، حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد، مع هامش ربح خفيف، إضافة للغرض

الأسمى، وهو أن يرى أعماله منشورة.

- تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب، عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية، كما هي عادة عقود دار ليلى.

- توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصري، الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى عز وجل أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح، وأن ينال مشروعنا رضاكم، وكلنا ثقة بأن كثير من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع، ستصبح -مثل سابقيها- بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدة.

الناشر



مقدمة

الحياة لا تسير وفق ما أتمنى، أفقد أحلامي واحدًا بعد الآخر، وأعجز عن تحقيق أغلب ما أحلم به، حتى شعرت بأني أصبحت شيئًا مجهولاً بلا قيمة، وأن حياتي أصبحت بلا معنى، وأن وجودي والعدم سواء. ولكن.. حينما أدقق النظر، أجد أني بالرغم من كل العوائق والعقبات لا تزال عندي قدرة على العطاء، وأني بالرغم من عجزي لا يزال لدي الكثير لأقدمه، وأن لدي الكثير لأقدمه، وأني بأقل ما لدي من إمكانات أستطيع دائمًا أن أعمل عملاً عظيمًا.

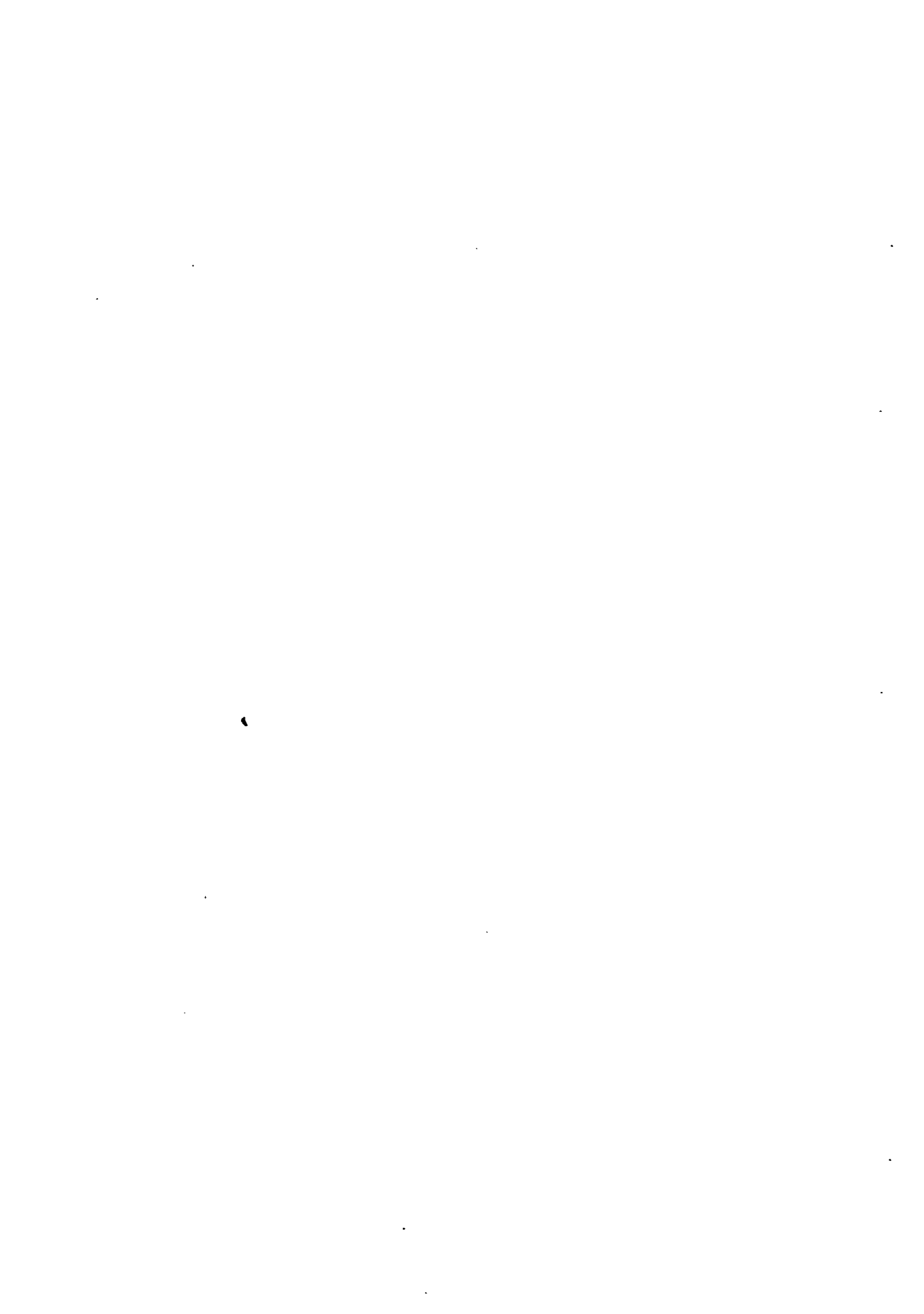
هشام فايز



النشر لمن يستحق



"سوف أصنع طائرة"



اللعنة على أبي وأمي، واللعنة على الجيران، واللعنة على كل شيء.

اسمي "وجيه"، وعمري 18 عامًا، أدرس في كلية الهندسة، وأسكن في فيلا في مصر الجديدة، ولي أخ وأخت، اللعنة عليهما هما الآخرين.

ولعلكم تتعجبون وتتساءلون عن سر اللعنات التي أوزعها بلا حساب على كل شيء حتى على أسرتي، ولكن اعذروني؛ فلا يوجد شيء بلا سبب، ولو عرفتم السبب لعذرتموني.

لقد كرهت كل شيء وكل شخص وكل مكان، لا أريد أن أخرج من البيت بعد الآن، ولا أريد أن أذهب إلى الجامعة، ولا أريد حتى أن أنظر من النافذة، فكل شيء حولي يثير سخطي الشديد، ويبدو لي مستفزًا جدًّا.

مشكلتي.. بل دعوني أقول كارثتي، تبدأ كل صباح عندما أستيقظ من النوم، لأجلس على "السفرة" لأتناول طعام الإفطار مع أسرتي المبجّلة، وبعد الانتهاء من الإفطار مباشرة، وقبل أن يهم كل واحد منا بالانصراف، يبدأ أبي في توزيع "المصروف" اليومي علينا:

- خدي يا نيفين مصروفك..

ويعطي لأختي "رزمة" من النقد تتجاوز مائة الجنيه، ثم بعد هذا يوجه الحديث لأخي الأكبر قائلاً:

- خد يا حازم.

ويمد يده "برزمة" أخرى تتجاوز أيضًا مائة الجنيه، وأخيرًا وبعد انتظار يتذكر التعيس المعذب -الذي هو أنا- حيث أشعر أحيانًا أنه ينسى أني ابنه الأصغر، الذي يجب أن يحظى بنصيب الأسد من الحب والعطاء والاهتمام، فأنا كما يقولون "آخر العنقود"، ولكن هذا لا يحدث مطلقًا في بيتنا،

فآخر العنقود في بيتنا ليس سكرًا معقودًا، ولكنه شاب محروم.

وعندما يحين دوري يُخرج أبي ورقة يتيمة بمبلغ خمسين جنيهًا فقط، ويعطيها للتعيس المعذب -الذي هو أنا أيضًا- قائلاً:

- خد إنت كمان يا وجيه.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، ولكن بعد ذلك على الفور يُرفع الستار عن المسرحية الهزلية اليومية التي تبدأها دائما البطلة "نيفين" -شقيقتي الكبرى ونجمة الاستعراض، عندما تفرقع بوسطاها وإبهامها في حركة مفتعلة تبدو لي هزلية ومبتذلة؛ لتتصنع أنها تذكرت شيئًا مهمًّا، وتقول جملتها المعتادة:

- آه، يا خبر يا بابا، كنت هانسى..

وتبدأ بسرد طلبات أخرى على أبي، وعلاوة على المصروف الضخم، تظل تسرد طلبات ملفقة ومكررة أحفظها

جيدًا عن ظهر قلب، وهي في الغالب تنحصر في: "النهاردة عيد ميلاد صاحبتي وعاوزة أجيبلها هدية"، أو "معزومة على حفلة بالليل وعايزة فلوس للكوافير"، أو "عاوزة اشتري علبة ماكياج"، أو "عايزة أغيّر الخاتم".. إلى آخره.

ويبدو أن أبي اعتاد ذلك، فلم يعد يفكر مطلقًا فيما تقوله، أو ينتظر تعليلاً مقنعًا، فليس على "نيفين" سوى أن تلفّق أي طلبات مزعومة، حتى يسأل هو في النهاية سؤاله المعتاد:

– يعني محتاجة كام كده؟

ثم يعد "رزمة" نقدية مكتظة، ويقول لها:

– طب خدي دول كمان يا حبيبتي.

وقد أصبح الأمر "روتينيًّا" جدًّا، حتى أن "نيفين" نفسها قد تكاسلت عن اختراع القصص الوهمية وتلفيق أسباب جديدة، واكتفت بالتبديل بين بعض القصص القديمة

والمستهلكة، حتى أني أصبحت أتنبّأ مقدمًا بالسبب الذي ستطلب من أجله المال من قبل حتى أن تتفوه به، وأقول في نفسي، اليوم هو يوم الهدية، أو يوم "الماكياج"، وهكذا.

وفور انتهاء هذا الاستعراض الفاشل من الفنانة "نيفين"، يبدأ دور العبقري "حازم" -أخي الأكبر وبطل العرض، وكأنهما قد أبرما اتفاقًا سابقًا و"بروفات" عديدة على هذا العرض الهزلي، ولكن إن كانت "نيفين" هي بطلة العرض الفاشلة، فإن "حازم" أخي الأكبر ليس البطل الناجح فحسب، بل يمكن أن نقول إنه الفنان البارع، صاحب دور البطولة، وصاحب "السيناريو" والحوار، بل والمخرج أيضًا، إنه موهوب ولا شك، فهو لا يطرف له جفن وهو يتنحنح برفق فور انتهاء "نيفين" من دورها، ثم يبدأ في استعراض مطالبه بثبات وثقة ليس لهما نظير، وهو يعزز حديثه دائمًا ببعض المهارات التمثيلية، حيث يتحدث دائمًا وهو يلوح بيده في الهواء في حركات تعبيرية مؤثرة، وكأنه يؤدي دور "هاملت"، حتى ولو

كان أبي لا يلتفت إليه، وكأنه يستمتع بهذا الأداء، ويا له من محترف واسع الأفق والخيال، فمنذ سنين وأنا أراقب كل يوم طلباته المزورة، فلا أستطيع أن أجد له طلبًا مستهلكًا أو مكررًا أبدًا، حتى أصبحت أستيقظ في لهفة كل صباح لكي أعرف ماذا سيكون طلبه اليوم، وما هي العلة الجهنمية الجديدة التي سيطرحها على أبي ليأخذ المزيد من المال.

ولا يقتصر الأمر على الأفكار فحسب، ولكن أسلوبه الرفيع وأداءه الرائع يجعلان أبي لا يلتفت إلى ما يقوله "حازم"، بل يُخرج كل ما في جيبه في صمت وهو يردد نفس العبارة الشهيرة:

– يعني كل ده يتكلف كام كده يا حازم؟

ولم أشك للحظة أن "حازم" أخي عنده القدرة على أخذ كل ما في جيب أبي إن أراد، بل ويمكنه أيضًا أن يحصل من أبي على "شيك على بياض" إن استمر في أداء هذا الدور لمدة عشر دقائق أخرى لا أكثر، فأنا لا أنسى الأسبوع الماضي حينما

نسيت نفسي من فرط الانبهار بأداء "حازم" الواقعي، وكدت أن أصفق له بشدة من فرط الإعجاب، بعد أن استطاع أن يحصل من أبي على مبلغ ألفي جنيه دفعة واحدة بحجة شراء أدوات طبية جديدة، وكأنه لا يكفيه المعدات وجثث الموتى التي تملأ غرفة مظلمة في الدور السفلي للفيلا، أكاد أقسم أنه دخل كلية الطب خاصة ليجد في ذلك فرصة ذهبية للمطالبة كل يوم ما يشاء باسم حوائجه الدراسية، على أية حال من يشاهد أداءه وانفعالاته يتأكد من أن معهد الفنون المسرحية قد خسر موهبة فذة مثل "حازم" أخي بعد التحاقه بكلية الطب.

وهكذا ينتهي العرض، ويُسدل الستار على المسرحية السخيفة التي تشعرني بأني أجلس وسط مجموعة من محترفي النصب والاحتيال والتزوير، وليس وسط أسرة مثقفة ومحترمة، فلا فرق بين ما يحدث في بيتنا مثلاً وبين ما يقوم به الرجل "النصّاب" الذي يقف على جانب الطريق ليلعب مع المارة لعبة "التلات ورقات"، فالهدف واحد في الحالتين، وهو

"قرطسة الزبون ولطش الفلوس اللي في جيبه".

وقبل أن يوشك "الزبـون" -عفـوًا- أقـصد أبـي، قبـل أن يوشك أبي على الإفلاس، يأتي دور أمي العزيزة لتحـصل علـى نصيبها من الغنيمة، وكأنها كانت تشارك معهم في "البروفات" سرًّا، ولكن دور أمي لا يحتاج إلى مهارات تمثيلية، فهي تدلي بطلباتهـا المـزوّرة مباشـرة، فيقـوم أبـي بالإذعـان فـورًا، بـلا اعتراض أو مراجعة أو حتى تفكير.

وأنا لا أستطيع أن أتفوّه بنصف كلمـة، علـى الـرغم مـن أني أعرف أن "نيفين" كاذبة في كل ادّعاءاتها، وأنها تنفق كـل ما تأخذه من المال بإسـراف وبـذخ علـى أصـدقائها في النـوادي، وأعلم أيضا أن "حازم" كاذب، ولا يحتاج إلى المـال إلا مـن أجـل "الصرمحة" مـع البنـات، حتـى أمـي تأخـذ المـال لتنفقـه علـى مجموعة المنتفعين من أصحابها وجيرانـها.

وينتهي الإفطار والعرض المسرحيّ أيضًا، وقبل أن يقـوم المسكين -الذي هو أنا- بفتح فيه بكلمـة، يكـون كـل شـيء قـد

انتهى، وانصرف الجميع وتركوني وحيدًا مع الخمسين جنيهًا اليتيمة.

وتزداد المأساة ضخامة حينما أخرج وأنا أفكر في حوائجي لأجد أن "الميزانية خربانة"، وأن ما معي من المال لا يكاد يكفي ثمن السجائر ووقود السيارة، وتأتي الفاجعة الكبرى حينما أخرج بسيارتي من باب الفيلا، فأجد "زياد" جارنا "الرذل" الذي يخرج من الفيلا التي أمامي في نفس الوقت، وكأنه يتعمد ذلك.. بسيارته الفارهة من طراز "بي. إم. دبليو"، والتي يبلغ ثمنها عشرة أضعاف ثمن سيارتي الملعونة، وينطلق أمامي كالإعصار وكأنه لا يلحظني أنا أو سيارتي.

ثم أذهب إلى الجامعة لأجد "الشلة" ملتفة حول "مدحت" زميلنا الثريّ العائد لتوِّه من "أوربا"، والذي قضى شهرين من العطلة الصيفية هناك، بل وأضاع أسبوعين آخرين من الدراسة وهو يتنقَّل بين عواصم أوروبا، ووقفت مع "الشلة" المبهورة حول "مدحت"، الذي أخذ يقص علينا مغامراته

وصولاته وجولاته في كل من "روما" و"باريس" و"برلين"، وأنا أستمع معهم وأتذكر كيف قضينا عطلتنا الماضية في "شرم الشيخ" لمدة ثلاثة أسابيع فقط، ولم أذهب إلى أوروبا إلا مرة واحدة منذ خمسة أعوام ولم تتكرر.

ووجدت نفسي كالفأر الذي يقف بين قطيع من الأفيال، لا أحد يشعر بي أو يلحظ وجودي، وكأني بلا وجود أو حتى ظل، ورحت أتساءل.. لماذا لا يستخدم كل من "نيفين" و"حازم" مهارته المسرحية ليقنع أبي بالذهاب إلى أوروبا في العطلة القادمة، عندئذ أستطيع أن أقف وسط "الشلة" وأقص عليهم القصص والمغامرات، وأشاهد نظرات الانبهار والإعجاب في عيون الجميع، بدلاً من وقوفي هكذا مثل "خيال المآتة".

بدأ الإحباط يسيطر على تفكيري، فقررت أن أنصرف فورًا قبل أن يسبب لي حديث "مدحت" جلطة أو سكتة دماغية، فتسللت من بينهم.. ولم يكن الأمر يحتاج إلى تسلل، فأنا لم يشعر بي أحد حينما وقفت، وبالطبع لم يشعر بي أحد

أيضًا عندما انصرفت، وكان الحل الوحيد الذي أمامي هو أن أعوِّض شعوري بالإحباط بمشاعر أخرى، مشاعر أجمل، مشاعر الحب مثلاً، نعم.. ولم لا؟ سأبحث عن "زيزي"، "زيزي" زميلتنا فاتنة الجامعة، هي التي تستطيع أن تعوضني عن أي شيء بجمالها، أين أنت يا "زيزي"؟ أين أنت؟ آه.. وجدتها، ها هي تقف هناك.

تقدمت نحو "زيزي" وقلت لها في رقة:

– صباح الفل يا أحلى بنت في الجامعة..

ردت بتهكُّم وقالت:

– هأ، طب ما أنا عارفة..

قلت:

– طب الجميل ممكن يتكرَّم ويتنازل ويخرج معايا النهاردة؟

ردت بغرور:

– امممم.. مفيش مانع.. هاتسهّرني فين؟

قلت لها في محاولة لإغرائها:

– في أي مكان تختاريه، تحبي نسهر فين؟ كازينو ولا كافيه ولا عوامة على النيل؟

نظرتْ إليّ في تعجُّب للحظات قليلة، ثم انفجرت تضحك في سخرية وهي تقول:

– كازينو؟ إنت عايزني أسهر في كازينو؟ امشي يا شاطر الحب بعيد، ده مدحت كان لسه بيعرض عليا نسهر سوا الليلة في فندق خمس نجوم، قال إنه هايسهّرني في فندق خمس نجوم وعلى النيل كمان.

وشعرت بأني سأنتحر قريبًا جدًّا إذا بقي "مدحت" زميلنا معنا في نفس الكلية لأسبوع آخر.

وفي النهاية، فكرت في حل لمأساتي، ووجدت الحل الأمثل، سأخرج هذا المساء مع أصحابي، "الشلة الضايعة"،

سأحصل من أبي على مبلغ ضخم، وسأذهب لأي مكان معهم، وأنسى أمر الجميع، أسرتي و"زياد" و"مدحت" وحتى "زيزي".

ورجعت إلى المنزل على الفور أنتظر عودة أبي لأواجهه بموقفي العَثِر، وأطلب منه مبلغًا من المال لأحسّن وضعي الماديّ.

وسمعت صوت سيارته وهي تعبر من باب الفيلا، فانطلقت مسرعًا لأستقبله، وحمدت الله على أن "نيفين" و"حازم" لم يكونا قد رجعا من الجامعة بعد، وفتحت الباب لوالدي، وقلت له مباشرة بلا مقدمات وبلا حركات مسرحية:

- بابا، كويس إن حضرتك جيت، أصل أنا كنت عاوز حضرتك في موضوع مهم.

رد عليّ بدون اهتمام:

- إيه؟ خير؟!

- آه طبعًا خير، أنا بصراحة كده كنت محتاج فلوس..

– فلـوس! فلـوس إيـه؟! إنـت مـش خـدت مـصروفك الصبح؟

– مصروف إيه يا بابا اللي بتتكلم عنه ده، إنت بتسمّي ده مصروف، هو فعلاً مصروف من قبل حتى ما يتـصرف، دي كلها 50 جنيه يتيمة لا طلعت ولا نزلت.

– يا ابني وأنا قدّك كده كنت باخد مصروف 3 جنيه.

– يا بابـا علـى أيامـك كانـت البيـضة بقـرش، وبعـدين جدي كمان ما كانش عنده فلـوس كـتير زيـك كـده، وأنـا ابنـك الصغير ومحتاج حاجات كتير، فكها بقى ما تحبّكهاش كده.

– ماشي يا سي "وجيه" يا غلباوي، وعايز كام بقى؟

– أهو اللي تجيبه، شفت أنـا قنـوع ازاي؟ اعتبرنـي يـا سيدي زي حازم..

– ماشي يا سيدي.. واهو حازم النهارده خد مني 100 جنيه.. خد انت كمان ميّة زيها..

- ميّة إيه بس يا بابا، دي يا دوب تمن البنزين..

- بقولك إيه يا "وجيه" هي 100 جنيه مفيش غيرها، هاتاخدها ولا أرجعها؟

- لا يا سيدي ترجّع إيه، إنت ما صدّقت، هات وأمري لله..

- جيل آخر زمن..

- والله إنتو اللي أبّهات آخر زمن.

ضحك والدي بصوت مرتفع وصعد إلى غرفته، وأنا أخذت مائة الجنيه وانطلقت بالسيارة، ولحسن الحظ لم أقابل "زياد" جارنا هذه المرة، فأنا أراهن أن "زياد" يعطي "بواب" الفيلا يوميًّا أكثر من مصروفي الشخصي على سبيل "البقشيش".

وأخذت أفكر وأنا أقود السيارة.. ماذا أفعل بمائة الجنيه؟ إن علبة السجائر وحدها ستأخذ عشرة جنيهات، وهناك خمسون لرصيد الهاتف، وثلاثون أخرى لوقود

السيارة، إن مائة جنيه لا تكفي لأن أفعل بها أي شيء على الإطلاق، كيف يمكن أن أذهب مع أصدقائي إلى "الكازينو" أو "الكافيه" أو "الديسكو"؟

أخذ الهاتف يرن فأجبت أنا:

- أيوه يا عم حسام..

- إنت فين يا ابني؟ إيه اللي أخَّرك؟

- ما أنا في السكَّة أهه، إنتو رحتوا فين؟

- لسه ما رسيناش، بس تقريبًا كده هانطلع على أي كازينو زي كل مرة، بس تعلالي على البيت الأول وبعد كده نشوف، كلهم هنا أهه.

- "أوكي خلاص أنا في الطريق، باي..

وأنهيت المكالمة، ثم أوقفت السيارة على جانب الطريق وأخذت أفكر، ماذا أفعل الآن؟ سيذهبون إلى الكازينو، ستكون السهرة طويلة، وستتطلب مبلغًا كبيرًا من المال، وأنا لا أملك

إلا مائة جنيه، ماذا لو اقترحوا أن نلعب "البلياردو" أو "البولينج"؟ هل أجيب بأني لا أملك ما يكفي من المال، وأجلس وحيدًا وأكتفي بالمشاهدة؟ أم أني سأظل أتعلل لكي أهرب من هذا الموقف الحرج؟ ماذا أفعل في أبي، هو السبب، كان يجب أن يعطيني أكثر ما دام يملك الكثير، ماذا أفعل الآن، هل أشتري بعض "الترمس" وأذهب لأتناوله على "الكورنيش"، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن أفعله بمائة الجنيه اليتيمة، فهي إما أن تشتري "قرطاس ترمس" أو "كوزين درة" في هذا الزمن، أما أكثر من ذلك فهي لا تصلح مطلقًا، لا يمكن أن أذهب بها مع أصدقائي إلى "الكازينو"، ولا لأسهر بها مع "زيزي" في الفندق.

شعرت بأني أختنق، وأن مقعد القيادة يكبلني، فهبطت من السيارة ووقفت بلا حيلة أفكر في حظي التعس، وأخبط سطح سيارتي بقبضتي، وأتذكر "زياد" و"مدحت" وغيرهما من الأفيال، وأنا مع مائة الجنيه التي تشعرني

بالتعاسة والحرمان، وبأني مجرد فأر حقير.

اللعنة عليهم جميعًا، ألا يقدِّر أبـي ظروفـى؟ ألا يـشعر أحد بمعاناتي؟ إنهم لا يعيشون في ذلك الزمن الذي يستعر فيـه الغلاء، ماذا أفعل الآن؟

وظل الهاتف يرن، إنـه "حـسام" مـرة أخـرى، اللعنـة عليه هو الآخر، بماذا أجيبه؟ ماذا يمكن أن أقول له؟ هل أقول إني لا أمتلك سوى مائة جنيه؟

وظللت واقفًا في مكاني تجتاحني موجة هائلة من الحنق والغضب، ومزيج من التعاسة والألم يعتصر قلبي، حتـى أفقـت فجأة على صرخة قوية مـن خلفـي، ويـد تـشدني مـن ذراعـي، وصوت يهتف:

– والنبي يا بيه.. أبوس إيدك.

التفـتُّ في غـضب لأجـد امـرأة في حـوالي الخمـسين مـن عمرها تجذبني من ذراعي بقوة وتقول:

- والنبي يا بيه، بنتي يا بيه، بنتي...

تأملت في وجه المرأة الخشن الأقرب لوجوه الرجال، والذي يرسم الحزن قسماته في غلظة، ويكسوه الشقاء والألم، تأملته مرارًا وأنا أزيح يدها عني وأجيب:

- مالها بنتك؟

- بنتي بتموت يا بيه، أبوس رجلك بنتي بتموت..

- طب وأنا أعمل إيه يعني؟

- بنتي يا بيه عملت حادثة، واحد جبان خبطها بالعربية وجري، إلهي ينتقم منه، وجرينا بيها على المستشفى اللي قدامك دي عشان يلحقوها، قالولنا دي محتاجة دم، قلنالهم طب ما تدوها دم، قالوا لما تدفعوا تمنه الأول، وإحنا هانجيب منين، دا إحنا ناس غلابة، وأبوها راح يستلف ما رجعش وسايبلي البت بتموت جوه، أبوس إيدك يا بيه، البت هاتروح مني.

- طب وأنا هاعملك إيه بس يا ستي؟

- ساعدني بأي حاجة، أنا والله يا بيه لا شحاتة ولا نصابة، البت راقدة جوّا بتموت وغرقانة في دمها، ولو مش مصدقني تعالى وإنت تشوف بعنيك.

وقبل أن أتفوّه بكلمة قبضت على رسغي بقوة، وجذبتني بعنف لنعبر طريق السيارات، وتعبر بي من مدخل أحد المستشفيات الحكومية، وهي تمسك بذراعي بقوة وتهرول بي في طرقاتها بين عشرات المرضى الذين يجلسون على الأرض، وعشرات آخرين ينامون على "البلاط" لعدم وجود أسِرَّة كافية في الغرف، وأخذت تقودني بين تأوّهات الألم وصرخات الاستغاثة ورائحة "الفينيك" النفاذة التي تزكم أنفي، وتمر بي بين عشرات الوجوه الغارقة في الدماء و"الشاش"، وعشرات الأجسام المغلفة "بالجبس"، لنصل في النهاية إلى غرفة ضيقة، بها حوالي ثمانية من المرضى، وبينهم ابنتها الصغيرة ملقاة على الأرض بدون اهتمام وتسبح في دمها.

انهارت المرأة تبكي في ألم شديد وهي تقول:

- شفت يا بيه، عاوزين منا 100 جنيه، أجيب منين 100 جنيه، دا أنا جوزي راجل غلبان على باب الله، بيشتغل يوم آه وعشرة لأ، والبت أهه قدامك بتموت، و100 جنيه تلحقها، حياة بنتي يا بيه تمنها 100 جنيه أبوس إيدك، أبوس رجلك انجدني، خد روحي، بس اديني المية جنيه، أعمل إيه بس يا رب، يا رب دا أنا ماليش غيرك، البت هاتضيع مني وأنا مش عارفة أعملها حاجة، يا حبيبتي يا بنتي...

وأخذت تنتحب بعنف وتلطم وجهها وصدرها بقوة، وأنا متجمد من هول ما رأيت، حتى وجدت نفسي أضع يدي في جيبي وأخرج مائة الجنيه، وأمد يدي نحوالمرأة بالمال دون أن أنطق بكلمة، وكلمح البصر خطفت المال من يدي بدون حتى كلمة شكر، وانطلقت كالريح.

أما أنا، فلم أتحمل أن أبقى لدقيقة أخرى في هذا المكان، وشعرت بأني لم أعد قادرًا على التنفس، فمررت بسرعة مرة

أخرى بين الغرف والمرضى وأنّات الألم، لأخرج من هذا المستشفى وأعود لسيارتي وأغلق هاتفي الذي كان يقول أن هناك عشر مكالمات فائتة من "حسام"، وانطلقت بالسيارة على الفور، ولكني شعرت بأني لا أريد أن أذهب مع أصحابي الليلة، ولا إلى أي مكان، شعرت فقط بأني أريد أن أعود إلى المنزل، وأجلس وحيدًا في غرفتي، لأسترجع مرة أخرى ما فعلته بمائة الجنيه...

النشر لمن يستحق



"سوف أصنع طائرة"



لم يكن هذا حلمي، أن أصبح مدرِّسة في إحدى المدارس الحكومية الابتدائية، لم يكن هذا طموحي، ولم تكن تلك النهاية ضمن تطلعاتي، لقد كان طموحي عظيمًا وجامحًا، وأحلامي كانت كبيرة وعظيمة، تتعدى أي حدود، ولا تقتصر على حياتي أنا فحسب، بل تمتد إلى حياة الآخرين، إلى العالم بأسره.

لقد كنت من أمهر التلاميذ في طفولتي، وكان أساتذتي يقولون عني دائمًا: "وداد دي أشطر بنت في المدرسة كلها".. وكم كنت أحب الدراسة، وأحلم بأني كبرت، والتحقت بكلية الهندسة، الكلية التي كنت أعشقها، وعشت أحلم بها، لقد حلمت بها منذ طفولتي، كنت أتمنى أن أصبح "المهندسة وداد"، ولكن للأسف أصبحت "المدرسة وداد"، وعلى الرغم من تقارب حروف الكلمتين إلا أن الفرق بينهما شاسع جدًّا، وبعيد جدًّا، كبعد السماء عن الأرض.

كبرت وكبر معي حلمي، وتفوَّقتُ تفوقًا باهرًا في مرحلتي

الإعدادية، ولم يتغير طموحي ولا حلمي العظيم، كنت أحلم ليل نهار بأن السنين قد مرت في عجل؛ لأجد نفسي طالبة بكلية الهندسة، وكنت بالتحديد أريد أن ألتحق بقسم الميكانيكا.

لم أكن مثل غيري من زميلات الدراسة ولا صاحباتي، فقد كنَّ جميعًا يحلمن بكلية معينة من أجل فرصة عمل ذات دخل كبير في المستقبل، أو لشغل منصب مهم، أو لتكون الشهادة الدراسية "ديكورًا" اجتماعيًّا أمام الناس، أو ربما تكتفي إحداهن بأي شهادة حتى يأتيها "ابن الحلال" ليتزوجها وتصبح له زوجة ثم أم.

أما أنا فكنت مختلفة عنهن، لقد كانت أهدافي محددة بدقة منذ طفولتي؛ كنت أحلم بأن أصبح شخصًا عظيمًا، كنت أحلم بكلية الهندسة بالذات، ليس من أجل لقب مهندسة، ولا من أجل وظيفة مرموقة، ولا من أجل دخل كبير، بل بالعكس.. كل ذلك لم يكن يعنيني على الإطلاق.

لقد كنت أحلم بأني أصبحت مهندسة عظيمة، لي أبحاث

ومشاريع في تطوير الحياة، أطالع المراجع والأبحاث، وأتابع أخبار "التكنولوجيا"، وأراقب عجلة التطوير، ليس فقط من أجل المشاهدة، ولكن من أجل المشاركة الجادة والفعلية.

كنت أحلم بأن أهب نفسي للعلم، للدراسة الجادة، وللفكر والإبداع، لأخطو خطوات واسعة في طريق التقدم، كنت أحلم بأني أصمم آلات جديدة وأجهزة متقدمة بتقنيات متطورة تساعد الإنسان في حياته اليومية، وتسهّل عليه كثيرًا من المشاق، وتحمل عنه الكثير من أعباء الحياة.

وكان حلمي الأكبر الذي يحلق دومًا في مخيلتي، ويراودني صباحًا ومساء هو حلم الانتقال، ولكم حلمت بتقنية جديدة، ووسيلة مبتكرة، تسهّل على البشر التنقُّل من مكان إلى آخر، وتوفِّر الجَهد والوقت، وسيلة يمكن أن نعبر بها القارات في ثوان، وندور بها حول العالم في دقائق قليلة.

كان حلمي الكبير هو صنع طائرة حديثة، أرجوكم لا تسخروا مني، فلقد كنت جادة في هذه الفكرة، وكنت دائمة

التفكير فيها، وكنت دائمًا أقول إني ذات يوم سوف أصنع طـائرة، طائرةً من طراز جديد، بتقنية جديـدة، فالإنـسان مخلـوق عظـيم لا حد لأحلامه ولا لخيالـه، ولا يعـرف المـستحيل، ويمكنـه بـالعزم والإصرار أن يصنع المعجزات، وما يبدو الآن أمرًا واقعًا مثل القطـار والسيارة والطائرة، لم يكن بالأمس سوى حلم أو فكرة في عقل عـالم مبتكـر، وكنـت أرى نفـسي لا أقـل عـن هـؤلاء، لا ينقـصني سـوى الدراسة الجادة والتفاني في العمل، فالجد والإخلاص والمثابرة كانوا ضماناتي لكي أصل إلى أهدافي وأحقق أحلامي.

كنت أحلم بصنع طائرة من نوع جديد، بشكل آخر ووقـود آخر، طائرة تتفوق على الطائرات النفاثة، وتسبق حتى الطائرات التي تطير أسرع من الصوت، كان حلمي هو إسعاد كثير من البشر بتقديم وسيلة جديدة للانتقال تجعل العالم كلـه كقريـة صـغيرة، يـستطيع الإنـسان أن يجـوب أرجاءهـا في عـدة دقـائق، فيـستيقظ الرجل في "مـصر"، ليتنـاول الإفطـار عنـد أخيـه الـذي يعـيش في "البرازيل"، ثم يحتسي الـشاى عنـد أحـد أقاربـه في "اليونـان"، ويتناول الغداء عند أحد أصدقائه في "المكسيك"، ثم يأخذ زوجتـه

وأولاده في نزهه ليشاهدوا برج "إيفل" وسور "الصين" العظيم، ويعود بهم إلى المنزل في "مصر" ثانية قبل منتصف الليل.

يا له من حلم! عشت وأنا واثقة أني قادرة على تحقيقه حتى ولو كرست حياتى كلها من أجله، كنت أمتلك الإصرار والعزيمة، وفي كل يوم كنت أقف في شرفة المنزل وأنظر إلى السماء وأتطلع إلى الطائرات، وأنا أحلم بطائرتى الجديدة، الطائرة التي سترفعني إلى منزلة العلماء والمخترعين العظماء، والتي ستصبح ثورة كبرى في عالم هندسة الميكانيكا، وستمنح السعادة لكثير من البشر، وكنت دائمًا أنتظر دراستي الجامعية لأثبت نبوغي وتفوقي؛ لأحقق هذا الحلم.

ولكن كل أحلامي تحطمت بعد وفاة أبي وأنا في نهاية المرحلة الإعدادية، ووجدت نفسي أنا وأمي وشقيقي الأصغر بلا عائل أو مورد رزق، سوى بعض الجنيهات القليلة من معاش أبي، والتي لا تكاد تكفينا.

ولم أستطع أن أستمر في أحلامي، كان عليّ بعد نجاحي

المذهل في المرحلة الإعدادية أن أتنازل عن كل طموحاتي، وأكتفي بالحصول على "دبلوم تجاري"، لأعمل بأي مهنة وأساعد أسرتي على العيش.

لم يكن أمامي أي سبيل لأكمل في "التعليم الثانوي" ثم ألتحق فيما بعد بكلية الهندسة، فهذا الطريق سوف يستغرق حوالي ثماني سنوات، بالإضافة إلى كم كبير من المصروفات التي لا طاقة لنا بها أنا وأمي، واضطرتني الحياة إلى أن أتخلى عن كل شيء، وأن أحصل بعد ثلاث سنوات على "دبلومة تجارية"؛ لأعمل بائعة في إحدى المكتبات لأعول أسرتي، ثم أحاول استكمال دراستي مرة أخرى، ولكن لا أستطيع أن أحصل على أكثر من شهادة من أحد المعاهد المتوسطة، لأعمل في النهاية كمدرسة بإحد المدراس الابتدائية الحكومية.

وها أنا ذا أجلس في فناء المدرسة، أفكر في أحلامي وقدراتي، وكيف انتهى بي الأمر إلى هنا، لقد عشت وأنا واثقة

من أني أستطيع أن أصنع الطائرة، ليس من أجل الشهرة ولا المجد، ولكن لأمنح السعادة للناس بهذا العمل العظيم، ولكني أصبحت عاجزة تمامًا عن فعل أي شيء له قيمة، فالأعمال العظيمة تتطلب إمكانات ومعدات وتجارب ودعمًا ماديًّا، وهذه الأشياء لا تتوفر إلا للقليل من الناس، وهؤلاء فقط هم الذين لديهم القدرة على أن يصبحوا من العظماء، ويؤثروا في الحياة، ويغيروا التاريخ، أما أنا فمهما حاولت فلن أستطيع أن أفعل شيئًا ذا قيمة، لقد أصبحت مدفونة هنا بلا هدف أو معنى لحياتي، حتى عملي هنا كمدرسة، أشعر بأنه لا قيمة له، فعملي يفرض عليَّ أن أقوم بتدريس بعض المواد العقيمة بطريقة "روتينية" لهؤلاء التلاميذ، ولا أمل لي أبدًا في تحقيق ولو جزء بسيط من أحلامي.

- أبلة وداد..

أخرجني هذا النداء من شرودي، فالتفت لأنظر من المنادي.

كان النداء من طفل صغير أسمر اللون، حليق الرأس، جسده ضئيل، ووجهه شاحب، وعيناه ذابلتان، ويدعى "عصام"، نُقل منذ أيام عندنا هنا في المدرسة وأجبته:

– أيوه يا عصام يا حبيبي، إيه اللي في إيدك ده؟

– ده ورق أبيض خدته من شريف صاحبي..

– قولي يا عصام، إنت حالق أقرع خالص كده ليه؟

– أصلي أنا عيَّان..

– وهو العيَّان يحلق كده؟

– هما اللي حلقولي كده.

– هما مين؟

– اللي في المعهد.

– معهد إيه؟

– معهد السرطان..

– عصام يا حبيبي.. هو إنت عيَّان بإيه؟

– أنا عندي سرطان في الدم.

ويا له من طفل مسكين، أمسكت دموعي بصعوبة، وقلبي يكاد ينفطر من فرط الحزن على هذا الطفل الذي يعاني من ويلات ذلك المرض اللعين، ويبدو أثر المرض واضحًا على جسده ووجهه، فقلت في محاولة لتفادي الحديث عن مرضه:

– وإنت بقى واخد الورق ده تعمل بيه إيه؟

– أصل شريف يا أبلة عامل سفينة ورق كبيرة، وعامل طيارات كتير، قلتله أنا عايز واحدة ما رضيش، وإداني الورق ده وقالي إعمل إنت لنفسك، وجيت أعمل زيه ما عرفتش..

وارتسم الحزن على وجهه، ويا لبراءة الأطفال، فهو ليس حزينًا من أجل مرضه اللعين، ولكنه حزين لمجرد أنه يريد لعبة ورقية بسيطة، لعبة ورقية يمكن أن تمنح له السعادة! فقلت له في حنان وأنا أقبله:

- ماتزعلش يا حبيبي، طب إيه رأيك بقى في اللي يعملّك طيارة أحسن من اللي مع شريف؟!

ارتسمت على شفتيه سريعًا ابتسامة واسعة وهو يقول:

- بجد يا أبلة؟ إنتي تعرفي تعملي طيارة؟

- طيارة وسفينة وكل حاجة، هات الورق ده وأنا أورّيك.

وأخذت الورق منه في لهفة، واستعدت كل ذكرياتي منذ كنت طفلة في المرحلة الابتدائية، وكنت بارعة في صناعة أي شيء من القطع الورقية، دبابات، سفن، طائرات، والكثير جدًّا من الأشكال الأخرى.

وأخذت أصابعي تلف الورق ببراعة وإتقان، وأنا أحاول أن أبتكر وأبدع، و"عصام" يراقبني في انبهار وسعادة ليس لهما مثيل، حتى صنعت له طائرة في منتهى الروعة وأعطيتها له، وأنا أقبله وأقول له:

- إيه رأيك بقى في الطيارة دي؟ مش أحلى من بتاعة

شريف؟

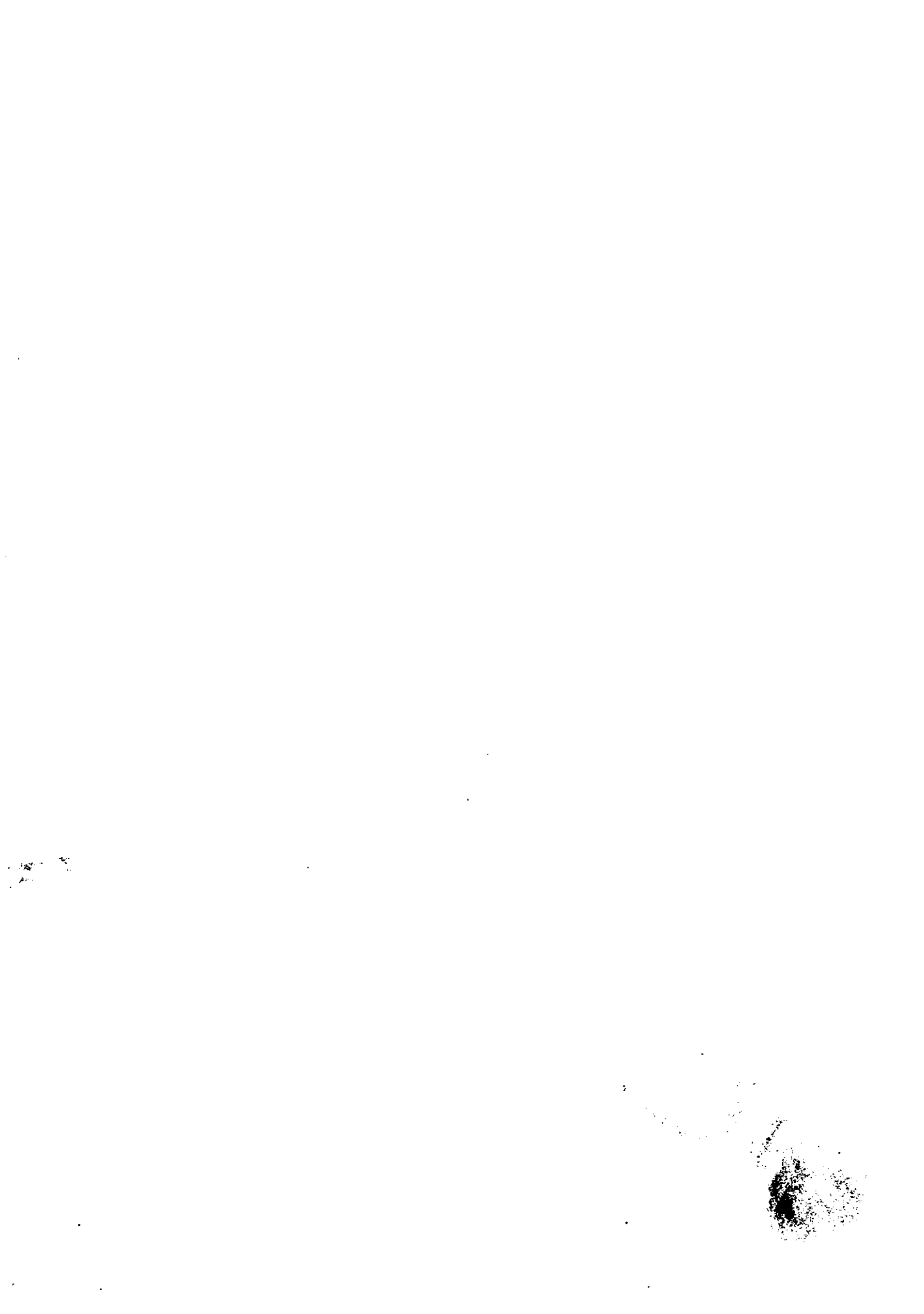
اختطفها في فرحة من يدي وهو يقول:

- الله يا أبلة، دي جميلة قوي.. دي أحلى من بتاعة شريف مية مرة..

وانطلق وهو في منتهى السعادة بطائرته الورقية، وأخذ يتقافز برغم مرضه في مرح طفولي من فرط السعادة.

أما أنا فقد كنت أسعد من "عصام" في تلك اللحظة، فعصام دون أن يدري حقق لي كل أحلامي في لحظات قليلة.

لقد صنعت الطائرة، واستطعت أن أمنح السعادة لإنسان، وكانت هذه في الحقيقة هي كل أحلامي.



النشر لمن يستحق



"سوف أصنع طائرة"



أحبه.

برغم كل الفروق والصعوبات التي بيننا أحبه.

كل دقيقة تمر عليَّ وأنا أفكر فيه، وأتذكر كلماته الساحرة، وأحلم بالحياة معه، وما فائدة الحياة بدونه أو مع غيره، لا معنى للحياة دونه، ولا حياة لي مع شخص سواه، هو حبي وحلمي الوحيد بالرغم من كل السدود التي بيننا.

وما ذنبه؟ وما ذنبى أنا؟ إنه لم يختر أهله ولا وظيفته، وكذلك أنا، لماذا نحرم بعضنا البعض، ونُحرم من أجمل مشاعر في الوجود، ومن أحلى اللحظات التي يمكن أن نحياها في سعادة؛ من أجل ظروف لا ذنب لنا فيها، إن مجرد الحب يكفي لأن يزيل أي فروق وأي حواجز بيننا، يكفي أني أحبه وأنه يحبني.

إني أحب "يحيى" منذ أن كنا في الجامعة وحتى تخرجنا، ثم جاء يتقدم لخطبتي، ولكن أبي رفضه بسبب

ظروفه، تلك الظروف التي جعتلـه مـن أسـرة لا تناسـب عائلتنـا العريقة، وكذلك وظيفته البسيطة الـتي لا تمكّنـه مـن أن يؤسـس بيتًا كبيرًا، ويمنحني الرفاهية كما تريد منه أسـرتي، ولكـن أنـا مستعدة للتضحية من أجله بأي شيء، وبكـل شـيء، أنـا صـاحبة الشأن، وصاحبة القرار الأول والأخير في حيـاتي، ولـذلك قـررت أن أتزوجـه، وأن أضـع أهلـي أمـام الأمـر الواقـع، نحـن لـسنا صغيرين، ولا نحتاج إلى وصاية، سأعيش معه تحت أي ظـروف، وبأقل إمكانات متوافرة، لا أريد قـصرًا ولا سـيارة ولا أي شـيء، سأضحي بكل شيء من أجله، ولكـن لـن أضـحى بحـبي لـه مهمـا حدث، من حقي أن أضحي بأي شيء آخر، بالشبكة وبالمهر وبكل شيء، ومن حقي أن أتزوج من أحب، ولا يعنيني أهلـي ونقمـتهم عليه أو عليَّ، سأتزوجه برغم أنف الجميع.

نحن متفقان على حق كل منا في الحياة مع الآخر، وفي حـب الآخر، لقد اقترح الفكرة وأنا وافقت، لم يكن أمامنا حـل آخـر، هـم الذين اضطرونا لفعل ذلك، فلقد حاولنا كثيرًا، وجربنا كـل الوسـائل المكنة، ولكن أمام عناد أهلي لم يعد هناك أي أمل، ولكـن "يحيـى"

لم يكن ليضحي بي أبدًا، فهو يحبني أكثر مما أحبه، لا يمكن أن يتركني أضيع من يده أو يشاهدني زوجة لرجل آخر، إنه متمسك بي حتى الموت، لن يتركني ولن يفرِّط فيَّ أبدًا، وما هي إلا دقائق حتى يتصل بي ليخبرني أنه بجوار البيت، وقد أعددت حقيبتي دون أن يلحظني أحد، وسأذهب معه الليلة.

سأهرب معه، وسنتزوج وستكتمل قصة حبنا، وسنحيا معًا في سعادة، فأنا لن أستطيع أن أحب أحدًا مثلما أحببت "يحيى"، ولن أجد شخصًا آخر يحبني مثلما يحبني "يحيى"، شخص غير "يحيى" كان يمكن أن يتركني ويرحل بعد أن رفضه أهلي أكثر من مرة، ولكن حبه الشديد لي جعله يتمسك بي لأقصى درجة، ويتحدى الجميع، ويواجه الصعاب ليتزوجني حتى ولو بالقوة، وأنا مقتنعة برأيه تمامًا في حقنا في الحياة وفي الحب، سوف نحصل على حقنا في الحياة بأي وسيلة، سنتزوج الليلة، وسنجمع كل ما ادَّخره، وكل ما أملكه من مال ومصوغات ذهبية، سيساعد بعضنا بعضًا في البداية، ومع الأيام سوف يرضى أهلي بالأمر الواقع، وسوف يتحسن دخله ووضعه، وكل شيء

سوف يصير في أحسن حال، والآن كل ما عليّ فعله هو أن أنتظر رنين الهاتف.

سيتصل بي حتى نذهب لنتزوج، وقد استأجر لنا شقة صغيرة مع الأثاث مؤقتًا، وسنبدأ حياتنا الجديدة على الفور، ويكفي السنوات التي ضاعت منا بسبب عناد أهلي الذين لا يفكرون إلا في المال والحسب، ولا يعرفون معنى كلمة حب، لذا فقد وضعت رسالة فوق مكتبي حتى يعثر عليها أهلي ويعلموا بقراري، لقد أوضحت لهم كل شيء وطمأنتهم، والآن ليس هناك سوى دقائق قليلة تفصل بيني وبين سعادتي، سيتصل بي "يحيى" وسنهرب معًا، بعد ثلاثين دقيقة من الآن، هذا هو موعدنا، بقيت ثلاثون دقيقة فقط.

يبدو أن القدر كريم معي حقًا.. إن الهاتف يرن الآن، قبل الميعاد بثلاثين دقيقة كاملة، يبدو أن "يحيى" متلهف أكثر مني ولا يستطيع الصبر مثلي تمامًا، أجبت الهاتف:

– مرحبًا..

– مرحبًا يا سلوى، كيف حالك؟ أنا نبيل..

– نبيل.. كيف حالك؟ وكيف حال خالتي؟

– بخير يا سلوى، ولكني كنت أحتاج إلى التحدث معك في أمر مهم..

– تحدّث يا نبيل، ماذا حدث؟ هل حدث مكروه؟

– لا تفزعي، فأنا أريد أن أتحدث معك بخصوص مها..

– مها! تحدث يا نبيل.. ماذا تريد أن تقول؟

– أنا قريب من المنزل، هل يمكنني أن آتي ونتحدث قليلاً؟

– حسنًا.. ولكن.. عندي ميعاد مهم جدًّا بعد أقل من نصف الساعة..

– أعدك بأن لا آخذ من وقتك أكثر من عشر دقائق..

– حسنًا يا نبيل.. أنا في انتظارك.

– وأنا قادم على الفور.

أنهى الاتصال وتركني قلقة أفكر، ترى ماذا يريد "نبيل"؟

لماذا يريد أن يحدثني بشأن "مها"؟ إن "نبيل" ابن خالتي على علاقة بمها صديقتي المقربة، لقد تعارفا هنا في منزلنا في حفل عيد ميلادي منذ سنوات، ونشأت بينهما قصة حب عنيفة، وهما يريدان الزواج مثلي أنا و"يحيى"، ترى هل تشاجرا؟

لا بأس، ربما حدث خلاف ما بينهما، المهم أن ينصرف "نبيل" قبل اتصال "يحيى"، وإلا عرقلني عن تنفيذ الخطة.

جرس الباب، إنه "نبيل" ولا شك.

- أهلاً نبيل، تفضل..

- اسمعيني جيدًا يا سلوى، ما دمتِ في عجلة من أمرك، سأتكلم مباشرة وباختصار حتى لا أؤخرك عن ميعادك ، سلوى.. أنا أريدك في مهمة.

- مهمة! أي مهمة هذه؟!

- مها يا سلوى، مها يجب أن تنساني، أخبرتني أن هناك طبيبًا قد تقدم لخطبتها، وأنها سوف ترفضه من أجلي، وأنا أريد منك أن تقنعيها بالموافقة عليه، وأن تساعديها لكي

تنساني..

– نبيل، ماذا تقول؟ هل جننت؟ هل تريد مني أن أقنعها بأن تتزوج رجلاً آخر غيرك، أبهذه السرعة تغيرت وأصبحت لا تحبها؟

– ماذا تقولين؟ أنا لا أحب مها؟! أنا لم أحب أحدًا في حياتي مثلما أحببت مها، أحببتها وما زلت أحبها أكثر من أي شخص آخر، أكثر حتى من نفسي..

– أي هراء هذا؟ هل تحبها وتتمنى لها الزواج برجل غيرك؟

– من أجل سعادتها..

– سعادتها معك، وسعادتك معها..

– بل سعادتها مع من يناسبها.

– وأنت أكثر من يناسبها.

– بل الطبيب الثري الوسيم هو الذي يناسبها، أنت لست

غريبة يا سلوى، وتعلمين أن أبي لم يترك لي شيئًا عند وفاته، وأن عليَّ أن أكافح وحدي لأبني نفسي، وهذا يحتاج إلى سنين..

- ولكن هل بهذه البساطة تضحي بها؟

- بل أضحي من أجلها..

- أي تضحية هذه التي تتنازل فيها عن حبك؟

- لا شيء عندي أغلى من حبها سوى سعادتها.

- أنت الوحيد القادر على إسعادها.

- لن أستطيع أن أسعدها دون إمكانات مناسبة.

- يمكنكما الزواج دون أي إمكانات..

- أهلها سيرفضون.

- ليرفضوا كيف يشاؤون، يمكنكما أن تتزوجا دون رضاهم.

- وكيف هذا؟

- يمكنكما أن تهربا معًا..

- هل جننتِ؟

- ولم لا؟

- لأني لا أريد أن أهدر كرامتها.

- وما شأن الكرامة بهذا؟!

- هل من الكرامة أن أذهب إليها لأتزوجها وهي عزيزة في بيتها، أم أن تهرب من أجلي وكأنها ترتكب جريمة؟

- حسنًا ما دام الحب تضحية فلتضحِّ بكرامتها من أجلك، يكفيكما الحب ولو دون كرامة.

- لا معنى للحب دون الكرامة.

- ماذا إن وافقت هي؟

- سأرفض أنا.

- لأنك لا تحبها..

- بل لأني أحبها.

- لو كنت تحبها لفعلت أي شيء لصالحها..

- وهذا ما أفعله الآن، فصالحها ليس معي.

- الحب هو أن تضحي بأي شيء لتحصل على من تحب.

- الحب هو أن نضحي بأي شيء في سبيل إسعاد من نحب.

- الحب سيجعلها تتحمل أي شيء..

- إلا الإقصاء والحرمان.

- يكفيها أن تكون معك..

- بل لا يكفي أن تكون معي دون أهلها.

- يجب أن تحصل عليها بأي طريقة..

- إلا طريق السرقة، كيف أسرقها وأدّعي أني أحبها؟!

- ما معنى حياتك دونها؟

- وما معنى لحياتي معها وهي ذليلة محرومة، منبوذة من أهلها، والناس يتهامسون عنها بالسوء، وتشعر دائمًا بأنها

أقل من أي امرأة أخرى..

- نبيل، لا يمكن لقلب ذاق الحب أن يكون بهذه القسوة.

- بل لا يمكن لقلب عرف معنى الحب أن يكون بهذه الأنانية.

- وهل هروبها معك أنانية؟

- اسمعيني جيدًا يا سلوى، الحب ليس كلمة ولا قبلة، ولكنه حالة إنسانية يتجرد فيها الإنسان من نفسه ومن رغباته ونزواته، حالة يرتقي فيها الإنسان فوق كل شيء؛ حتى فوق نفسه، عندما نحب أحدًا فنحن نريد له السعادة بأي سبيل؛ حتى لو مع أحد سوانا، عندما نحب فنحن نضحي بالفعل، ولا نكتفي بالكلمات والشعارات الرنانة، عندما نحب بصدق لا نهتم بشيء سوى مصلحة من نحب؛ حتى وإن كان من مصلحته أن نهجره أو نجرحه أو نسبب له ألمًا شديدًا، مثل الجرَّاح الذي يقطع لحم المريض بالمبضع ليجري له جراحة تشفيه من مرض خبيث، لا يمكن أن نؤذي أو نضر أحدًا باسم الحب، فالحب أبعد

ما يكون عن الضرر، والحب الذي يمكن أن يضر أبعد ما يكون عن الحب الحقيقي الصادق، الحب هو أن نخاف على من نحب، وهذا ما أحسه تجاه مها، يجب أن تعيش سعيدة بأي ثمن، حتى لو مع شخص غيري، وحتى لو كان ثمن ذلك هو سعادتي، يجب أن أراها أفضل امرأة في الدنيا، ربما تظن أني تخليت عنها، ربما لن تذكر لي شيئًا سوى أني جرحتها وكنت سبب آلامها، وربما تمضي السنين وهي لا تعلم كم أحبها وأتعذب بعدها، ولكن كل هذا لا يعنيني، كل همي هو أن أراها متزوجة من شخص يلائمها بمباركة أهلها، ولا يمكن من أجل أنانيتي وحبي لذاتي أن أهرب معها وأهدر كرامتها وأجعلها تخسر أهلها، وأجعل منها امرأة طريدة منبوذة من الجميع، وأخدعها باسم الحب لتحيا معي حياة مهينة لا تستحقها، لن أدّعي حبي لها بالكلمات، وكل ما أفعله يدل على أني لم أحبها قط، وأني لم أحب إلا ذاتي، كيف يكون الإنسان الذي أدّعي أني أحبه هو أكثر إنسان أتسبب له في الضياع والضرر؟ أنا أحبها بجنون، ربما هي لن تعرف كم أحبها، ربما يجب أن أرحل عنها وأبقى صامتًا للأبد، لقد فكرت

كثيرًا قبل أن أتخذ قراري هذا، وشعرت بأني لن أسمح لأحد بأن يضرها، أو يعترض طريق سعادتها، لن أسمح بذلك أبدًا حتى ولو لنفسي، سامحيني يا سلوى، هذا كل ما عندي، أقنعيها أو لا تقنعيها، فهي لن تراني أبدًا مرة أخرى.

وقام واقفًا ونظر إليَّ نظرة يملؤها الحزن والألم، وانصرف والدمع ينحدر من مقلتيه.

ووجدت نفسي أبكي ولا أدري لماذا، فكلمات "نبيل" الصادقة نفذت إلى شغاف قلبي، وأخذت ترن في أذني وفي عمق نفسي، أهذا هو الحب؟ هل "نبيل" محق فيما قاله؟ هل يمكن لإنسان أن يرتقي لهذه الدرجة من المشاعر؟ أنا لم أفهم الحب قط كما شرحه "نبيل"، يا له له من معنًى عميق لم أنتبه له إلا اليوم فقط.. الهاتف يرن.

أترى الحب أن نأخذ فقط دون أن نعطي؟ أتراه محض أحاسيس أم إنه أفعال وتضحيات أيضًا؟ الهاتف لا يزال يرن.

ترى كيف يكون الشخص الذي يحبني بحق؟ هل يكون

مثل "نبيل" فيضحي بـأي شـيء ليحـافظ علـى صـالحي وكـرامتي وسعادتي؟ أم يتجاهل كل ذلك حتى يحصل عليَّ بـأي ثمـن وبـأي وسيلة؟ سأجيب الهاتف...

– مرحبًا "يحيى"، لا لم أنس الميعاد، ولكن أنا آسفة، أنا لست قـادرة علـى اتخـاذ أي قـرار الآن، ولـن أسـتطيع أن أذهـب معك..

ووضعت السماعة وتوجهت بخطـوات ثابتـة إلى المكتـب، وأخذت الرسالة التي كنت قد تركتها لأهلي، وأحرقتها.

النشر لمن يستحق



"سوف أصنع طائرة"



الجو معتدل في ليلة من الليالي الأُخر لفصل الربيع، والمقاهي ممتلئة إلى آخرها، حتى لا يمكنك أن تجد لنفسك مقعدًا بسهولة، إلا إن كنت على معرفة شخصية بعمال المقهى، أو كنت "زبونًا" مستديمًا هناك، مثل هؤلاء الذين اعتادوا أن يكون المقهى هو ملاذهم الوحيد، كشاب عاطل أو رجل عازب أو "سمسار"، أو حتى رجل متزوج يترك زوجته وأبناءه ويسهر مع أصدقاء المقهى كل ليلة في اللهو والعبث.

والوقت يمر بلا طائل، فهو شيء مهدر، ولا يحاول أحد أن يجني فائدة من ورائه، بل العكس، فالهدف الوحيد والمشترك بين أغلب الجالسين هو إهدار الوقت.

و أصوات الجالسين تعلو وتتداخل، بين منادٍ على النادل يطلب مشروبًا ساخنًا، أو مشروبًا غازيًا، أو "طاولة"، أو "دومينو"، أو "حجر معسل"، ويتنقل النادل بين الطاولات في

رشاقة واتزان مثيرين للعجب، وهو يحمل أربع مشروبات ساخنة في أكواب زجاجية، وكوبين آخرين من الماء على "الصينية المعدنية" مستخدمًا ثلاثة أصابع، بينما يحمل بيده الأخرى وبأصابعه فقط أربعة أكواب فارغة في حركة مدهشة، ليضع "الصينية" على طاولة معدنية صغيرة بجوار طاولة أخرى خشبية لها سطح من "السيراميك" الملوّن، والتي يلتف حولها أربعة من الشباب وهم: "مصطفى" و"مينا" و"عمرو" و"بطرس"، كما اعتادوا أن يفعلوا كل ليلة في ذلك المقهى، يجلسون الليل كله يفعلون نفس الأشياء، ويمزحون بنفس الشتائم والألفاظ الجارحة للحياء، والتي غالبًا ما تتعرض للمقدسات والأنساب، ويبدأ اللعب.

مينا: هنلعب أربع طوابق أمريكاني على المشاريب، ولا نلعب على فلوس؟

مصطفى: ماشي، نلعب على خمسة جنيه في الطابق،

بس ما تجيش ساعة الدفع وتخلع زي كل مرة..

مينا: أخلع! مش كفاية دايخ من الصبح عشان أجيبلكم التموين، عاوزينّي أدفع كمان؟

عمرو: دول ما كانوش مرة ولا مرتين اللي رحت فيهم عشان تقضي مصلحة، خلاص عملت نفسك وزير التموين؟ المهم في الآخر ما يطلعش صنف مضروب.

مينا: مضروب! ياخي بوس إيدك وش وضهر إني لقيت، هو بقى فيه حشيش في البلد؟

بطرس: طب لِف لي سيجارة كده يا مينا وأنا أعرفلك إن كان مضروب ولا لأ، إنت عارف إني خبرة في الحاجات دي

مصطفى: طب العب يا خبرة..

بطرس: إنت بتتريق؟ ليه؟ هو مش أنا اللي كشفتك برضه آخر مرة لما كنت عايز تبيعلنا الخلطة المضروبة بتاعتك على إنها حشيش؟

مينا: أيوه صح يا بطرس، فاكر نفسه حدق، بس هاينصب على مين؟

مصطفى: ينصب؟ يعني إيه؟ يعني أنا نصَّاب؟

بطرس: أمَّال ده بتسميه إيه يا خفيف؟

عمرو: بلاش تنطق إنت بالذات يا بطرس، عشان إنت أكبر حرامي..

بطرس: حرامي!

مصطفى: أيوه حرامي، بتسمسر علينا في كل قرش بتجيبه 30 ولا 40 جنيه زيادة، ولا فاكرنا عبط ومش فاهمين؟

مينا: لِمّ لسانك يا مصطفى، وشوف إنت بتتكلم ازاي؟

عمرو: طبعًا بتدافعله عشان إنتو الاتنين نصابين زي بعض..

بطرس: أنا مش محتاج حد يدافعلي، أنا ليا إيد

ولسان، واللي ما يعجبنيش كلامه أنا ممكن أشرَّحه..

مصطفى: تشرَّح مين ياله.. اتكلم على قدك..

مينا: إيه؟ هو إنتو حتتلموا عليه ولا إيه؟ طب والله لـو حد منكم لمسه لا أكون جايبه نُصِّين..

وقام "مينا" وفتح مديته المسنونة في وجه "عمرو"، الذي قام في غضب والشرر يتطاير من حروفه وهو يقول:

- إنت بتفتح عليَّا المطواه يا مينا؟

وسدد "عمرو" له لكمة قوية، كانت بمثابة الفتيل الذي أشعل المعركة، فتحت تأثير المخدر قام الأربعة بأفعال جنونية، من سب الأشخاص والخوض في الأنساب والأعراض وسب الأديان والمقدسات، وقذف وضرب بالأيدي وبالمقاعد، وبالأسلحة البيضاء أيضًا، وساد الهرج والمرج في المقهى، وأسرع الجميع يركضون إلى الشارع، بينما حاول القليلون التدخل لفض الاشتباك، ولكن بلا جدوى.. فهذه القوى الغاشمة التي يتحكم

بها عقول يلفها ضباب الدخان من الصعب التصدِّي لها، وسالت الدماء على الأرضية "السيراميك"، وعلا الصياح وساد الفزع والهلع في الشارع كله، وارتفعت أصوات التكسير والتدمير مع كل جزء يقع محطمًا في المقهى، وهرع صاحب المقهى لطلب النجدة، وخرج السكان من النوافذ و"البلكونات" لمشاهدة هذه المعركة الطاحنة.

ونظر الدكتور "محمد" في فزع من شرفة شقته في الدور السادس في نفس العمارة التي فيها المقهى ليرى ما الذي يحدث، ولكنه لم يستطع أن يرى شيئًا من زاوية شرفته، فقرر أن ينزل إلى الشارع ليرى بنفسه ما يحدث، وحين فتح باب شقته، وجد جاره الأستاذ "حنا" في وجهه، فأسرع يسأله في قلق:

– يا ساتر يا رب.. هو إيه اللي بيحصل تحت يا أستاذ حنا؟

– والله مش عارف يا دكتور محمد.. دي شكلها خناقة كبيرة قوي تحت في الشارع..

- خناقة بالشكل ده؟ يا حفيظ يا رب، ده أكيد الشارع كله اتكسَّر، لو كنت نازل تشوف إيه الحكاية إبقى طمنِّي..

- لا.. الحقيقة أنا كنت نازل أشوف دكتور عشان ابني تعبان شوية، حرارته مرتفعة وقلقان عليه..

- دكتور! ده كلام برضه يا أستاذ حنا؟ أبقى جارك ودكتور أطفال وتنزل تدوّر على دكتور؟ ليه ما خبَّطتِّش عليَّا؟

- أنا آسف والله يا دكتور محمد، بس خفت لا أقلقك، الوقت متأخّر وأنا عارف إنك بتنام من بدري..

- مافيش قلق ولا حاجة، وحتى لو كنت نايم لازم تصحِّيني، هو ربنا علِّمنا الطب ليه؟ مش عشان ننفع بيه الناس، وبعدين دا إحنا جيران، والنبي وصَّى على الجار..

- إحنا أكتر من جيران يا دكتور محمد والله، دا إحنا إخوات من عشر سنين..

- صادق يا أستاذ حنَّا.. صادق، طب ثواني أجيب الشنطة بتاعتي..

وغاب قليلاً بالداخل ثم أتى وهو يقول:

- "الشنطة أهه، اتفضل معايا لما أشوفه..

ودخلا إلى شقة الأستاذ "حنا"، وانحنى الدكتور "محمد" على "جرجس" الصغير وهو يقول:

- افتح بُقَّك يا حبيبي عشان نقيس الحرارة..

وهنا قال الأستاذ حنا:

- نوَّرتنا يا دكتور، أخبارك إيه؟ وأحمد عامل إيه؟

- الحمد لله بخير، وأحمد كمان بخير.. ولو إنه تاعبني شوية، مش عارف يا أستاذ حنًّا التعليم إيه اللي حصلُّه، الولد منتظم جدًّا في المدرسة، ورغم كده ما بيتعلمش أي حاجة مفيدة، وعلى قد ما بقعد معاه وأذاكر له، إنما مستواه مش عاجبني خالص، خصوصًا في مادة الدراسات، ما تعرفش أنا قلقان عليه قد إيه، دي الامتحانات خلاص بعد أيام..

- طب ما قلتليش ليه من بدري يا دكتور وأنا كنت قعدت معاه كام مرة وخليته يبقى من الأوائل كمان؟ ولا نسيت



إن لك جار أستاذ في مادة الدراسات؟

- والله أبدًا يا أستاذ حنًّا دا أنا حتى فكرت أكلمك في الموضوع ده، بس عارف إنك ما بتدِّيش مجموعات تقوية، فخفت لا أكون باتقِّل عليك..

- تتقل عليا! ده أحمد ده في غلاوة جرجس، وربنا أمرنا نساعد بعض، وبعدين هو أنا هادِّيله درس خصوصي؟! دا أنا كأني بذاكر لجرجس..

- أكيد يا أستاذ حنا، ما أحمد ده إنت اللي مربِّيه..

- وربنا يعلم إنه في غلاوة جرجس تمام.. إنت بس خليه يجيلي كل يوم ساعة ولا اتنين وأنا أخليه يطلع من الأوائل..

- والله ما عارف أشكرك إزاي يا أستاذ حنا..

- ما تقولش كده دا إحنا إخوات..

وهنا التفت الدكتور "محمد" إلى "جرجس"، وأخذ

يتحسس صدره بسمّاعته الطبيـة، ثـم سـحب مـن فمـه مقيـاس الحرارة ونظر فيه وقال:

– لا إن شاء الله بسيطة، دي نزلة برد عادية، هاكتبلـه على خافض للحرارة وإن شاء الله يقوم بالسلامة..

– أنا آسف يا دكتور محمد.. قلقتك.

– ما تقولش كده يا أستاذ حنا.. المهم إننـا اتطمنـا علـى جرجس، خلينا بس نبعت نجيب الدوا.

– أيوه طبعًا ما أنا نـازل حـالاً.. بـس ثـواني أبـص مـن الشباك أشوف إيه اللي حصل في الخناقة..

– يا ريت تبص وتطمني..

نظر الأستاذ حنا من النافذة لدقيقة ثم عاد وقال:

– الحمد لله.. أهو البوليس جه وخد كل الأولاد دول.

– الحمد لله.. ربنا ريحنـا مـنهم، دا أنـا كنـت مـذهول

وأنا بسمع صوت الضرب والتكسير من البلكونة، ولا الشتايم، ألفاظ خارجة لا تتقال ولا تتسمع، أنا مش عارف اللي زي دول أهاليهم فين؟ سايبينهم كده من غير تربية؟!

- معاك حق والله يا دكتور، دول أولاد ما لاقوش اللي يربيهم، معقول في ناس كده؟ لا دين ولا أدب ولا أخلاق..

- ربنا يحفظنا منهم، المهم بقى استنى لما أبعت أحمد ابني ينزل يجيب الدوا..

- وده معقول برضه يا دكتور محمد، عايز تنزِّل أحمد في الشارع دلوقتي، أنا نازل بنفسي حالاً، عشان لا قدَّر الله لو حصل حاجة تاني تيجي فيًّا أنا مش فيه..

- إن شاء الله اللي جاي خير، ربنا ما يجيب حاجة وحشة ويبعد عننا الشر..

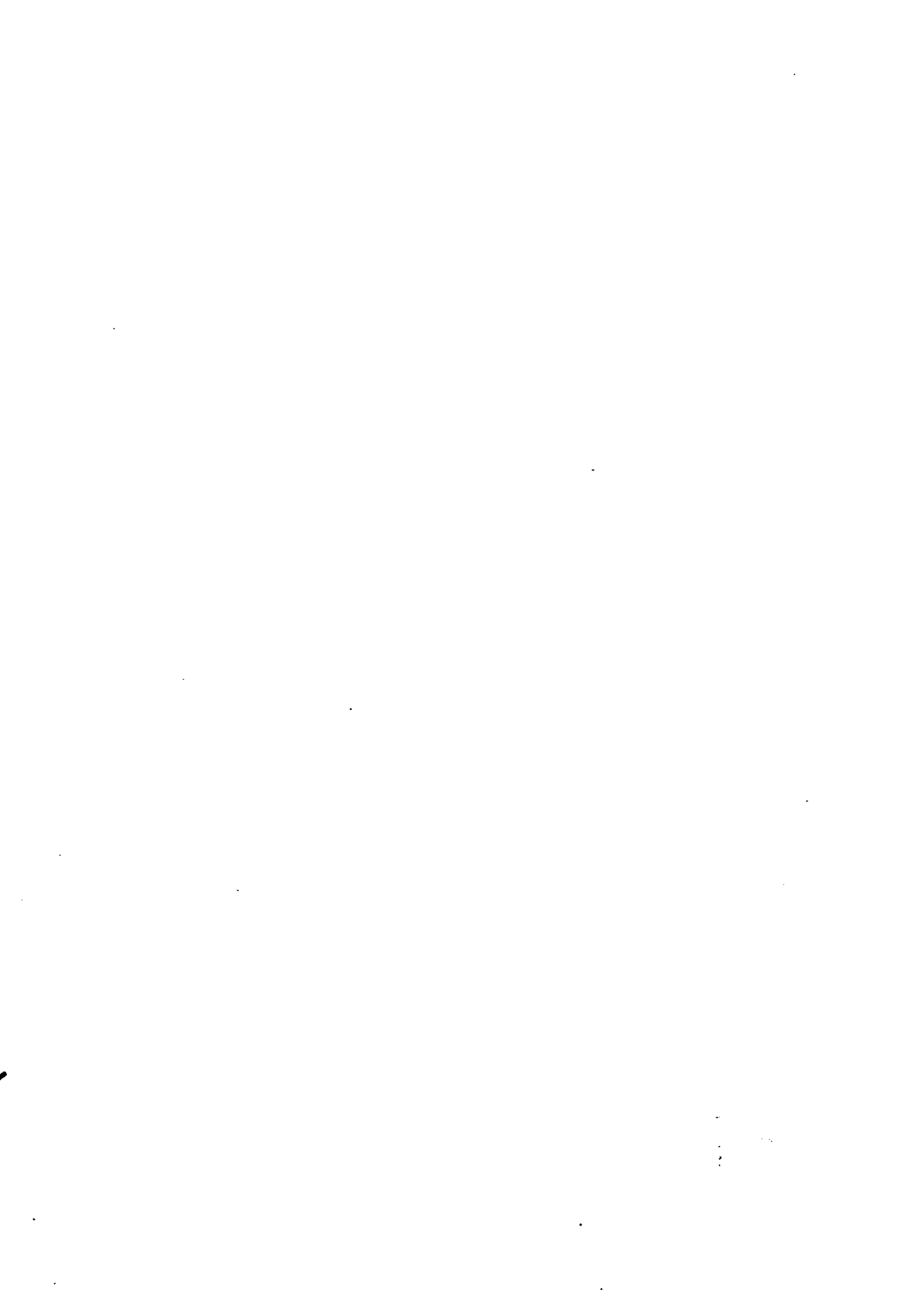
- آمين يا رب..



النشر لمن يستحق



"سوف أصنع طائرة"



القاهرة 1937م..

في أحد الأحياء الشعبية..

الحارة تنبض بالحركة، السقا يسير حافيًا وهو يحمل "إربته" على ظهره والأكواب المعدنية في يده، وامرأة سمراء تجلس القرفصاء على الأرض أمام "مشنة التين الشوكي"، وصانع الطرابيش يجلس في دكانه أمام القوالب النحاسية ذات الأذرع الخشبية والمكبس الحلزوني، بجلبابه المخطط والطربوش و"الجاكتة"، وبائع "البطاطا" يجر العربة ذات العجلات الخشبية والمدخنة القصيرة التي يتصاعد منها الدخان، والعديد من العمال يتجمعون حول بائع الفول لتناول الإفطار.

والمعلم "سليمان" يجلس أمام "قهوته البلدي" مع مساعده وذراعه اليمنى "زكي القهوجي"، و هو يدخن النارجيلة بشراهة ويتطلع إلى نهاية الحارة ويقول:

- بص كده ياد يا زكي، مش دي البت زينب اللي جاية من آخر الحارة هناك؟

- لا يا معلمي مش هي..

يلطمه بيده على صدغه قائلاً:

- مش هي إزاى يا طور؟ هو أنا عبيط عنها؟

- يعني هو أنا هاعرفها من تحت البيشة ومن آخر الحارة كمان؟

- لكن أنا بقى أعرفها من على بعد ميت فدّان، دي البت دي هاتطيّر البرج اللي فاضل في نافوخي..

- يا معلمي شيلها من دماغك بقى وكفاية عليك نسوانك الاتنين..

- هأأو، نسوان! هو إنت بتسمّي جوز الخفر دول نسوان؟ دي البت زينب دي مجنناني، دي عليها جوز عيون يدوّخوا جمل، هاتفضل طول عمرك مقطف..

ويلطمه مرة أخرى على قفاه.

- يا معلمي اقصر الشر أحسن، خلينا في حالنا بدل ما ولاد عمها ينزلوا ويدُّولك علقة موت زي المرة اللي فاتت..

- فشر، علقة إيه يا بغل إنت، دا أنا اللي كنت هاكسّر عضمهم، لولاش بس همّا اللي اتكاتروا عليا وخدوني على خوانة، بس وحياة شنبي ده ما أنا عاتقها، دي البت ادّوَّرت واحلوِّت وبقت زي لهطة القشطة، وجوز البغال اللي بتتكلم عنهم دول أنا هاعرف إزاي أمسح بيهم تراب الحارة.

وفي المنزل المجاور كان "حسين" يصرخ في وجه "محروس" ابن عمه وهو يقول:

- نعم يا سي محروس، إنت مش عايز تديني حقي ولا إيه؟

- حق إيه يا حسين بس اللي بتتكلم عنه؟ ما إحنا اللي بنكسبه من الدكانة بنقسمه سوا..

- لا يا سي محروس.. الدكانة دي أبويا الله يرحمه هو اللي بناها على كتافه -ألف رحمة ونور عليك يابا- يعني المكسب يتقسِّم بينَّا أنا التلتين وإنت التلت..

- يا حسين أبويا وأبوك الله يرحمهم كانوا طول عمرهم شركا، وبيقسموا المكسب بالنص، حتى اسأل سِتَّك وهي تقولك، فهِّميه إنتي يا ستي..

تدخَّلت السيدة فاطمة جدتهما وهي تقول:

- أيوه تمام كده.. وكلام محروس مظبوط، كلام إيه ده اللي بتقوله يا واد يا حسين، إنت اتجننت يا وله ولا جرى لعقلك حاجة؟

- ملكيش دعوة إنتي يا ستي بالحكاية دي، الحارة كلها بتقول إن أبويا طول عمره خيره على إخواته، وهو اللي كان شاري البضاعة من فلوسه، وكان شايل الدكانة على كتافه، يعني أنا حقي أكتر بكتير من اللي بيدهولي سي محروس..

تدخل محروس قائلاً:

- أنا بَدِّي أعرف بس إنت جبت الكلام الفارغ ده من أنهي داهية؟

- ده مش كلام فارغ يا سي محروس، الكلام ده مظبوط، وأنا مصدقه، وبعدين جبته مطرح ما جبته بقى.. إنت شريكي؟! قُصر الكلام.. أنا عاوز نصيبي..

- نصيبك هو اللي بيوصلّك يا حسين.. ومالكش عندي ولا نكلة زيادة..

- يعني إيه؟ عايز تاكل حقي؟

- إنت اللي عايز تاخد أكتر من حقك..

- لا يا سي محروس.. فوق.. دا أنا لحمي مر، مش كل الطير اللي يتّاكل لحمه..

- إنت بتهددني ولا إيه، طب ورّيني هاتعمل إيه لو

كنت راجل؟

– أقدر أعمل كتير، ولو مش عايز تديني حقي بالذوق فأنا مش أكتع، أنا أعرف آخد حقي بدراعي..

تدخَّلت السيدة فاطمة مرة أخرى وهي تقول:

– يا ولاد عيب، صلوا على النبي واخزوا الشيطان، دي عين مين وصابتنا بس يا رب؟

رد محروس:

– يعني يا ستي إنتي مش سامعاه بيهلفط يقول إيه..

اقترب "حسين" من ابن عمه وأمسكه من ملابسه، وأخذ يهزه بقوة وهو يقول:

– اتقي شري يا محروس.. إنت مش قدي..

دفعه محروس بقوة وهو يقول:

– يا شيخ اجري بقى فلقتني..

وتراجع "حسين" في قوة من أثر الدفعة، حتى استند إلى كرسى خشبى قديم، فأمسكه وقذف بـه "محـروس" ابـن عمـه بقوة فأوقعه أرضًا، فقـام "محـروس" بـسرعة مـن علـى الأرض وانقض على "حسين" بشراسة، وأخذا يتبادلان الدفع واللكمات في قوة، والسيدة "فاطمة" تصرخ وتضرب على رأسها في حـسرة وتصيح:

- بـس يـا ولاد، يـا ولاد اخـزوا الـشيطان، يـا مـين ينجدني، غيتوني يا ناس، يا دي الغلب اللـي حـط عليكـي يـا فاطمة..

ولكن صراخ السيدة العجوز يضيع هبـاء في الهـواء وسـط العراك الدامي الذي يدور بين حفيـديها، فأطلـت برأسـها مـن الشباك لتطلب النجدة أو العون من أهل الحارة، ولكنها عنـدما أطلـت برأسـها مـن الـشباك وقـع بـصرها علـى مـصيبة أكـبر، فحفيـدتها الأخـرى "زينـب" كانـت تـصرخ في وجـه المعلـم

"سليمان" وتقول:

- نزِّل إيدك جاك قطع إيدك من كتفك يا بعيد، يـا راجـل يا دُون يا لمامة، قال حاقّة القوالب نامت والأنصاص قامت..

- بقى أنا لمامة يا عرة النسوان؟

- أنا عرة النسوان يا عرة الرجالة يـا نـاقص، يـاللي في سوق الرجالة ما تجيبش تلاتة أبيض، عايز تعمل عليا معلم يا جعرّ، الله يرحم أيام ما كنت عربجي كارّو مش لاقـي الرغيـف الحاف، والرايح والجاى بيلحسك على قفاك، ولا نسيت أصلك يا حافي، قال إن عاشوا كلوا الدبان وإن ماتوا ما يلاقوا الأكفان..

- لاااااه، دا إنتى حُرمة عديمة الرباية صحيح وعـايزة اللي يربيكي..

- يا شيخ اتنيل وروح ربِّي شنبك، ما بقاش غيرك إنت يا نطع اللي يربِّيني، الله يرحم أبوك اللي مـات ونفسه في كـوز درة، عاملي فيها معلم دلوقتي بعد ما جالك قرشين، الله يرحم

أيام النوم في الزريبة، وإن كنتوا نسيتوا اللي جرا هاتوا الدفاتر تنقرا..

- كده، طب عليا الطلاق بالتلاتة من نسواني الاتنين لا أكون مربِّيكي من أول وجديد..

ورفع يده في قوة وهبط على وجهها بلطمة قوية أطاحت بالبرقع، وجعلتها تصرخ صرخة مدوية نفذت إلى بيوت الحي جميعها، وجعلت الحارة بأكملها تتجمد فجأة كقطعة من حجر، وهنا صرخت السيدة "فاطمة" في حسرة وهي تشاهد هذا الموقف المهين:

- يا خرابك يا فاطمة يا خرابك، الحق يا حسين، الحق يا محروس، بنت عمكم بتنضرب وإنتو هنا ماسكين في خناق بعض يا بُعدا، يا سوادك يا فاطمة يا سوادك..

كان كل من "حسين" و"محروس" قد أنهكه التعب بعد العراك الطويل بينهما، فوقفا يحدِّقان بعضهما البعض في تحدٍّ،

يلهثان في عنف، وكل منهما تسيل منه الدماء بغزارة، ولكن بعد سماع "حسين" لما قالته جدته اندفع مسرعًا إلى الحارة، يقفز من فوق درجات السلم، وتبعه "محروس" فورًا، وفي ثوانٍ كان "حسين" يقف أمام المقهى، ليقع بصره على "زينب" بنت عمه وهي منخرطة في البكاء، تضع يدها على خدها الذي تلوَّن بلون الدم من قوة اللطمة التي تلقتها، أما المعلم "سليمان" فقد كان يقف في تحدٍ والشرر يتطاير من عينيه.

ونظر "حسين" إلى "زينب" مرة أخرى وقال:

- حصل إيه يا زينب؟ هو الكلب ده مد إيده عليكي؟

ولكن "زينب" لم تتمكن من الرد عليه، وتركت دموعها تجيبه بدلاً منها، وكان ذلك كافيًا لحسين حتى يندفع كالثور الهائج نحو المعلم "سليمان" ويكيل له اللكمات بعنف، و المعلم "سليمان" يحاول أن يقاوم ولكن بلا جدوى، وأخذ يترنح ويتراجع أمام لكمات "حسين" القوية، حتى التف "زكي"

القهوجي من خلف "حسين" وهو يحمل كرسيًا خشبيًا ليهوي به على ظهره بقوة، فيقع "حسين" على الأرض من شدة الألم، ثم يقاوم الألم الشديد الذي يشعر به ويقوم مرة أخرى، وينقض على المعلم "سليمان" الذي كان قد استعاد توازنه، وأخذ "حسين" يكيل له لكمات خاوية وواهنة بعد أن استنفد كل قوته في عراكه السابق مع ابن عمه "محروس"، وأخذ يلهث بشدة من فرط التعب، والمعلم "سليمان" يستغل الفرصة ويسدد له لكمات عنيفة، و"حسين" يتلقاها في استسلام ولا يستطيع حتى تفاديها.

سالت الدماء بشدة من وجهه ومن أنفه المحطم، وأخذ يترنح وسط الحارة "كالبهلوان" من شدة اللكمات التي يتلقاها، وسط مشاهدة الجموع من أهل الحارة الذين اكتفوا بالصمت، ولم يجرؤ أحدهم أن يتدخل وسط هذه المعركة الحامية، وأخذ "حسين" يتراجع أمام ضربات المعلم "سليمان"، ووسط صراخ "زينب" وبكاء السيدة "فاطمة" التي تتطلع من الشباك وتصرخ

وتضرب على صدرها بقوة، حتى بدأ "حسين" يلهث بشدة ويشعر بالأرض تدور تحت قدميه، وهو يقاوم السقوط مرة أخرى، وينادي بصوت واهن ضعيف:

- الحقني، الحقني يا محروس، الحقني يا ابن عمي..

والتفت ببصره يبحث عن "محروس" فوجد "محروس" ابن عمه ملقًى على الأرض على بعد أمتار قليلة منه بلا حراك، فقد كان هو الآخر يعاني من جروح شديدة نتيجة العراك السابق، حتى فقد وعيه وسقط على وجهه مغشيًّا عليه أمام المنزل.

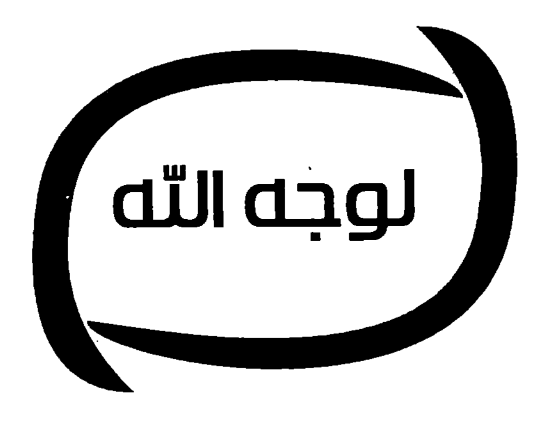
والتفت "حسين" ليجد نفسه وحيدًا في مواجهة المعلم "سليمان"، الذي أطل من عينيه نظرة يمتزج فيها الحقد بالكراهية، وهو يقترب منه في بطء، و"حسين" بمفرده بلا معين ولا سند، وينظر حوله ليبحث عن مغيث فلا يجد سوى "زينب" التي تخفي وجهها بيديها وتنتحب ببكاء مرير.

وأخذ المعلم "سليمان" يقترب منه في شماتة وهو يحمل

بكلتا يديه كرسيًّا خشبيًّا ثقيلاً ويرفعه عاليًا ويتقدم ببطء، و"حسين "ينظر بعينين زائغتين في استسلام، ويرفع يده في ضعف يحاول أن يحمي رأسه، فتشهق جدته "فاطمة" وهي تلطم وجهها بقوة وحسرة، وتنطلق صرخة حادة من صدر "زينب" كخنجر يشق صمت الحارة، ويهوي الكرسي من أعلى على رأس "حسين" ويرتطم بيديه ورأسه في قوة، فيسقط "حسين" أرضًا في وسط الحارة على وجهه.

ومرة أخرى يعلو الصراخ في الحارة الواجمة، ويتجمد المشهد على "محروس" الملقى على الأرض، والسيدة "فاطمة" التي تلطم وجهها بقوة، و"زينب" التي تهز جسد ابن عمها "حسين" ليقوم مرة أخرى ولكن بلا جدوى، فتنتحب "زينب" مرارًا وهي تستنفره ليقوم، ولكنه يبقى ساكنًا ولا يجيب، ويظل ملقًى وسط الحارة بلا حراك على وجهه.

وجهه الذي أصبح ينزف بشدة، وتلطخ بالدماء، وبالتراب، وبالعار.



"سوف أصنع طائرة"



"أي حاجـة بجنيـه، ولاعـة بجنيـه، قـصافة بجنيـه، جلدة البطاقة بجنيه"..

هكذا كان يرتفع الصياح في الطريق المزدحم، حيث يتلاصق البائعون ذوو العربات الصغيرة وهم يتصايحون على بضائعهم، والمارة يتدافعون أثناء السير يتخبطون تارة، وتارة يقفون ليتأملوا في العربات ويقلبوا في البضائع من كل صنف، أحذية، وملابس مستعملة، و"إيشاربات"، ونظارات شمسية، وساعات لليد، وكثير من الأدوات الصغيرة ذات الجنيه الواحد، فرش ومرايات وماكينات للحلاقة، وأقلام وبطاريات جافة.

وعلى جانبي الطريق محلات عديـدة للنجـف والتحـف والقماش والأواني والحلى النحاسية المزخرفة والعطور الزيتية والعطارة.

وبائع "السميط" الجوال يمر من أمام محل العطارة الكبير

الذي يحمل اسم "العقاد"، حيث تصطف "أشولة" العطارة ذات الألوان الفاقعة، الأصفر والبرتقالي والأحمر والزيتوني، وعلى الأرفف تتراص "البرطمانات" الزجاجية التي يحمل كل منها اسم ما يحتويه، زعتر، شكوريا، شيح، شرش الروباص، حمحم مخزني... وعلى الجانبين تمتد الأدراج الخشبية ذات الغطاء الزجاجي الشفاف، ويفوح في المكان مزيج من الروائح القوية والمختلطة من التوابل والبهارات والبخور.

ويجلس الأخوان "سيد" و"عبد العزيز" يديران المتجر الكبير الذي ورثاه عن أبيهما الحاج "عبد الله العقاد" -رحمه الله، بينما يتنقل صبي صغير ليكنس الأرضية المغطاة بنشارة الخشب، ويعيد تنظيم "أشولة" العطارة الملونة، ويقف "عبد العزيز" أمام مجموعة كبيرة من العلب الكرتونية المتنوعة التي تحتوي على وصفات علاجية من أعشاب طبيعية، وتدخل امرأة جميلة لتسأله:

- لو سمحت.. ألاقي عندك وصفة تمنع تساقط الشعر؟

- أكيد طبعًا يا مدام تلاقي، هنا تلاقي أي حاجة تحتاجيها..

- بس ما اكدبش عليك، أنا جرَّبت قبل كده حاجات من دي كتير وللأسف مجابتش نتيجة، لما تعبت خلاص، وشكلي كده هابطل أصدق في العطارة.

- لا.. لا مؤاخذة يا مدام، صوابعك مش زي بعضها، إنتي تلاقيكي بس جربتي وصفة أي كلام، واللي عملها لا مؤاخذة مش عطار ولا يفهم حاجة في العطارة، أصل العطارة دي سعادتك علم وفن، آه.. علم كبير وبحره واسع زي الطب كده تمام، مش برضو بيسموها الطب البديل، يعني ما ينفعش أي حد كده يشتغل فيها..

- يعني المرة دي على ضمانتك؟

- أمَّال يا مدام، أنا ما اطلَّعش من عندي غير الحاجة المضمونة، كل اللي عندي وصفات متجربة ومضمونة مليون

الميـة..

– طيب خلاص، إدِّيني.. هاجرب مرة كمان.

– إنتي تؤمري يا مدام، ولو يلزمك حاجة تانية لتبيض السنان ولا حب الشباب ولا الهالات السودا، أي حاجة مـن دي عندي وصفتها المضمونة..

– آه يا ريت.. لو حاجة للـهالات الـسودا عـشان غلبـت معاهـا ومفـيش فايـدة، ويامـا جربـت وصـفات ومكـانش فيـه نتيجة..

– ده بس يا مدام عشان حضرتك ما جيتليش من الأول، على العموم آدي إحنا فيها، وهاتجربي وتحكمي بنفسك، إنما ما تآخـذينيش يعـني، لـو عنـد حـضرتك مـشكلة مـع الـدهون الزايدة، ممكن تجربي حاجة للتخسيس..

– إيه ده؟ معقول! هو إنت كل حاجة كـده ليهـا عنـدك حل؟

- أمّال يا مدام.. ربنا نزل الداء، ونزل لكل داء دواء، ثواني أجيبلك التلات وصفات لحضرتك وآجي..

وغاب قليلاً ثم رجع وأعطاها الوصفات الثلاث وهو يقول:

- دي للشعر، ودي للهالات السودا، أما دي بقى فللتخسيس، كل وصفة معاها ورقة مكتوب فيها تستخدميها إزاي، ولو احتجتي شيء تاني أنا والمحل تحت أمرك.

- ميرسي خالص..

- العفو يا مدام دا أنا خدامك.

ثم نادى بصوت مرتفع:

- يا سيد.. خد من الهانم 70 جنيه.

ثم وجه حديثه للمرأة قائلاً:

- والله دول ما بيخرجوش أقل من 120 جنيه، بس

عشان دي أول مرة وعشان تبقي زبونة عندنا.

– حقيقي مش عارفة أقولك إيه، إنت كلك ذوق.

– العفو يا مدام.. دا أنا تحت أمرك.

وانصرفت المرأة وهو يردد بصوت عال:

– مع السلامة، ألف سلامة، شرفتي ونورتي، المحل نور والله..

انصرفت المرأة بعيدًا، فقام "سيد" يقول:

– إيه يا عبد العزيز ده؟! معقول تبيع للست دي شوية الحاجات دول بسبعين جنيه؟! اتقي الله يا أخي عشان ربنا يباركلنا.

– بقولك إيه يا سيد، اطلع من دماغي، الست كانت راضية وماشية مبسوطة، إنت داخلك إيه بقى؟

– يعني حتى لو هي مبسوطة، تقوم تبيعلها حاجات ما

تجيبش 5 جنيه بسبعين جنيه؟

- هو أنا باخد حق الحاجة؟ أنا باخد حق التركيبة، حق المفهومية والخبرة.

- حق التركيبة؟! وإنت بتسمِّي دي تركيبة؟! إنت عايز تضحك عليا أنا كمان، هاتشوف إنها هاترجع تاني تتخانق معاك وتقولك مفيش وصفة من دول جابت معاها نتيجة.

- خليك إنت بس في حالك، ولو رجعت تاني ابقى سيبني أنا اللي اتصرَّف..

- أخليني في حالي إزاي؟ هو إحنا مش شركا في محل واحد؟ أسكت إزاي واللي بتعمله ده ما يرضيش ربنا؟

- اللي بعمله ده هو اللي مشغل المحل، والكام وصفة اللي مش عاجبينك دول بيكسّبوا المحل قد اللي بيكسبه من

العطارة 20 مرة، اطلع انت بس منها وهي تعمر، وخلي بالك في زبونة جاية..

دخلت امرأة أخرى ووجهت الكلام لعبد العزيز قائلة:

- لو سمحت.. أنا كنت جيت من أسبوعين وخدت وصفة لتفتيح البشرة، والحقيقة ما جابتش معايا أي نتيجة، مع إني كنت واخداها بخمسين جنيه..

رد "عبد العزيز" فورًا:

- تلاقيكي بس يا مدام ما عرفتيش تستخدميها مظبوط..

- إزاي؟! أنا عملت زي ما كان مكتوب في الورقة بالظبط.

- يمكن مفعولها ضاع من التخزين ولا حاجة، هو حضرتك كنتي عايناها فين؟

- في التلاجة زي ما قلتلي..

- يا خبر يا مدام.. أنا معقول أقول كده؟ في التلاجة! وعايزاها تعمل مفعول، مش معقول يا مدام كده، على العموم حصل خير، ثواني وأجيب لحضرتك واحدة تانية، ودي بقى تعينيها بعيد عن الرطوبة..

وهنا تدخل "سيد" قائلاً:

- ثواني يا عبد العزيز..

ثم وجَّه حديثه للمرأة وقال:

- لا مؤاخذة.. أصل التركيبة دي مش موجودة دلوقتي، دول الخمسين جنيه بتوع حضرتك، وابقي عدِّي علينا مرة تانية تكون التركيبة جهزت..

نظرت المرأة في حيرة بينهما ثم أخذت المال وانصرفت، وما إن ابتعدت قليلاً حتى صاح "عبد العزيز" في أخيه:

- إنت اتجننت يا سيد؟! إيه اللى بتعمله ده؟ بقى أنا ألم الفلوس من الناس بطلوع الروح وإنت ترجّعهالهم تاني؟ ده بدل ما نبيعلها واحدة كمان!

- واحدة كمان؟! إنت مش سامعها وهي بتقول ما جابتش نتيجة؟!

- أنا مالي.. إن شالله تتحرق، مش هي اللي حطتها في التلاجة؟

- مش إنت اللي قلتلها تعمل كده؟

- أنا؟ أنا لا يمكن أقول حاجة زي كده..

- يا عبد العزيز اتقي الله عشان ربنا يكرمنا..

- والله طول ما إنت في المحل ده هاتجيبه الأرض.

وبينما هما يتجادلان دخل عليهما رجل عجوز مسكين وهو يقول:

- حاجة لله ربنا يوسع رزقكم.

صاح "عبد العزيز" في خشونة:

- الله يسهلّك يابا..

أخرج سيد جنيهًا معدنيًّا وأعطاه للرجل دون أن ينطق بكلمة، فانصرف الرجل وهو يقول:

- ربنا يكرمك دنيا وأخره، ولا يرميك في ضيقة ويرزقك من وسع..

وصاح "عبد العزيز" في أخيه مرة أخرى:

- يا سيد حرام عليك يا أخي، إنت عايز تجنني؟! ده منظر واحد تديله حسنة؟! ده تلاقيه أغنى مني ومنك، ومش بعيد تلاقي عنده عمارة أربعة أدوار من الشحاتة..

- يا سيدي وافرض إنه مش محتاج، أنا اديته وخدت أجري من ربنا وخلاص، ماليش دعوة بقى لو هو كداب وبياخد من الناس وهو مش محتاج، وبعدين ده كل اللي خده جنيه،

هو جنيه يجيب حاجة الأيام دي؟!

– يا ابني طب إدّي لحد محتاج، ده مش محتاج..

– هو أنا بدِّيله عشان محتاج؟! أنا بدِّيله لوجه الله.

وبينما هما يتجادلان إذا بصديق والدهما الحاج "إبراهيم أبو الفتوح" صاحب معرض "الموبيليا" يعبر في هدوء من بين "أشولة" العطارة المرصوصة أمام المحل ويلقي السلام بصوت مرتفع قائلاً:

– سلام عليكم يا سيد يا بني، سلام عليكم يا عبد العزيز..

أشاح "عبد العزيز" بوجهه وتظاهر بأنه مشغول وحتى لم يرد السلام، بينما رد "سيد" في حرارة:

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يا ألف مرحب يا حاج إبراهيم خطوة عزيزة اتفضل..

- الله يعز مقدارك يا سيد.

ودخل الحاج "إبراهيم" إلى المحل فأسرع "سيد" وأحضر له كرسيًّا خشبيًّا أخذ يزيل عنه التراب ومخلفات العطارة المتناثرة في كل جزء من أجزاء المتجر، وجلس الحاج "إبراهيم" في مواجهة "سيد"، بينما انزوى "عبد العزيز" وكأنه لا يرى شيئًا مما يحدث، وهذا الذي جعل "سيد" يبتسم ابتسامة عريضة ليعالج الموقف وهو يقول بصوت عال:

- نورتنا يا حاج إبراهيم، عاش مين شافك، ازيك كده وازي دمياط..

- بخير يا ابني والحمد لله.

- حمدلله على السلامة يا حاج.. وصلت إمتى؟

- لا يا ابني دا أنا هنا بقالي يومين والنهارده تالت يوم.

- يعني تلات أيام يا حاج وما تزورناش غير

النهاردة؟!

- والله غصب عني يا سيد، كان عندي كام مشوار مهمين قلت اخلصهم قبل أما أعدي عليك.

- والله زيارتك دي على راسنا من فوق، شاي ولا قهوة؟

تحدث الحاج إبراهيم بصوت عال برغم الحرج حتى يسمعه كل منهما:

- الله يخليك يا سيد يا ابني، لا شاي ولا قهوة، أنا جاي في كلمتين صغيرين كده وماشي على طول.

- ماشي إزاي يا حاج؟ دا إحنا لازم نتغدّى سوا.

- لا يا ابني غدا إيه؟ دا أنا لازم أرجع دمياط النهاردة.

- معقول يا حاج تيجي وتمشي كده على طول! إنت فاكرنا بخلا؟!

- والله يا ابني كريم وابن كريم، ربنا يكرمكم كمان

وكمان، ويوسع رزقكم ويباركلكم فيه يا رب.

قام "عبد العزيز" بعد هذه العبارة ليقف أمام خزانة المال، وكأنما فهم ما يرمي إليه الحاج "إبراهيم"، بينما قال "سيد" في ترحاب:

- المحل وأصحاب المحل تحت أمرك يا حاج.. أؤمر..

رد الحاج "إبراهيم" مباشرة:

- "بقى الحكاية في كلمتين يا سيد يا ابني إن المحل بتاعي ممكن يتقفل في أي وقت، الكام شهر اللي فاتوا السوق كان نايم على الآخر، و"الموبيليا" اللي عندي مركونة في المعرض وفي الورشة بحالتها، طب والله يا سيد يا ابني ما عارف أحاسب الصنايعية لحد دلوقتي، قلت مفيش حاجة هاتعوض الخسارة دي غير المستعمل، أهو أجيب كام حتة قُدام أجددهم والّمعهم وأعرضهم مع "الموبيليا" اللي عندي، يمكن الحال يمشي، ومن قيمة أسبوع كده وقع قدامي كام أوضة نوم إنما لقطة، اتفقت مع صاحبهم إني هاشيلهم كلهم، إوض لسه بحالتها وعلى الموضة وهاتجيب زبونها، بس بعد ما قعدت

وحسبت القرشين اللي حيلتي لقيت الموضوع هايقصر معايا في حسبة 15 ألف جنيه، ودي شغلانة كويسة ومكسبها مضمون بإذن الله، بس الشرط الوحيد إني لازم أدفع الفلوس كلها على داير مليم، وبقالي كام يوم دايخ من اللف على التجار والمعارف هنا وفي دمياط ما خلّتش، حتى الجيران سألتهم والله، لكن إنت عارف الحياة بقت صعبة وماحدِّش بيطلع القرش بالساهل.

وقبل أن يفتح "سيد" فاه بكلمة أجاب "عبد العزيز" في غلظة من جانب الخزانة:

- والله يا حاج إبراهيم كان بودِّنا.. لكن إنت عارف الفلوس اللي معانا كلها يا إما في السوق عند التجار يا إما مرمية في بضاعة زي ما إنت شايف، وكمان مبلغ زي ده صعب ندبَّره دلوقتي.

صمت الحاج "إبراهيم" وكأنه كان يتوقع هذا الرد من "عبد العزيز"، ثم قام واقفًا وقال:

- معلش يا ابني بكره تفرج وترزق من وسع، ده ربك

كريم وما ينساش عبده، سلام عليكم.

هب "سيد" واقفًا وقال:

- استنى بس يا حاج إبراهيم، مش معقول تمشي كده.

- معلش يا سيد يا ابني ما أنا لازم ألحق أشوف حد يدبر لي المبلغ ده قبل المعاد ما يفوت، إنت عارف المصلحة دي لو ضاعت مني مش هاعرف ألم نفسي تاني في السوق وهاتبقى مصيبة، دا أنا هايتخرب بيتي واحتمال أبيع المحل والورشة.

- ما تحملش هم الفلوس يا حاج، إن شاء الله ساعة زمن والمبلغ يكون عندك..

تدخَّل "عبد العزيز" بصوت عال وهو يقول:

- يا سيد ماتعطلش الحاج خليه يشوف حد يعرف يتصرفله، لكن إنت هاتجيب مبلغ زي ده منين؟

أكمل "سيد" وكأنه لا يستمع إلى أخيه:

- إنت نازل فين يا حاج؟

- زي كل مرة.. في لوكاندة الفردوس اللي في الأزهر.

- خلاص يا حاج، ما تحملش هم وخليها على الله، كلها إن شاء الله ساعة زمن والمبلغ يكون جاهز، وأنا هاجيلك اللوكانده لحد عندك.

ابتهج الحاج "إبراهيم" مثل غريق تعلق بقارب للنجاة وقال في سرور:

- ربنا يكرمك ويزيدك من فضله يا سيد يا ابني، صحيح ظني فيك طلع في محله، ربنا يكرمك دنيا وآخرة، ولا يرميك في ضيقة أبدًا، سلام عليكم.

وما إن ابتعد الحاج "إبراهيم" بضع خطوات حتى قفز "عبد العزيز" ثائرًا مرة أخرى، ليقف في وجه أخيه وينهره بعنف قائلاً:

- إيه ده؟ إنت صحيح ناوي تدِّي للراجل ده فلوس؟

- أكيد، إنت مش سمعتني لما وعدته؟

- لا بقى، دا إنت شكلك اتجننت ولا جرى في عقلك حاجة، شوف بقى يا سيد، لو مديت إيدك على جنيه واحد من الخزنة أنا مش هاسكتلك.

- ليه بقى يا عبد العزيز؟ هو اللي في الخزنة ده مش فلوسنا؟

- عليك نور، آديك إنت قلت فلوسنا، يعني فلوسي أنا وإنت، وأنا بقى مش هاسيبك تبعزق فلوسي يمين وشمال.

- وأنا ما قلتش إني هامِدّ إيدي على مليم من فلوسك، أنا هادّيله من نصيبي أنا..

- إنت مالك إنت ومال الناس؟ أما عجيبة يا أخي، ما يبيع المحل ولا يفلس ولا يتحرق حتى، تسلفه ليه؟

- لوجه الله..

وهنـا أطلـق "عبـد العزيـز" ضـحكة عاليـة محملـة بالسخرية وهو يقول:

- لوجه الله؟! إنت مش هاتسيبك من العبط اللـي إنـت فيه ده؟ يا ابني الدنيا دي تجارة، بيـع وشـرا، والواحـد مـش لازم يطلع قرش من جيبه إلا لو ضامن إنـه هايرجعلـه عـشرة، والراجل ده نصاب، سايب فلوسه في البنك عشان تزيـد وتعمـل أرباح ومش عايز يلمس منهـا ملـيم، وجـاي عـشان يـستغفلك، تعرف.. أهي الفلوس اللي هياخدها منك هايعمل بيها مـصلحة جامدة، والخمستاشر ألف دول هايكسب من وراهم ولا خمسين ألف على الأقل، يعني هاياخـد فلوسـك يتـاجر بـيهم ويكـسب قدهم تلات أربع مرات ويمكن أكتر، وبعـدين يرجعهملـك زي ما همَّا، ده إن رجَّعهم أصلاً، وإنت جاي تقول لي لوجه الله!

- لا يا عبد العزيز، الحاج إبراهيم كـان صـاحب أبـوك الله يرحمه ويا ما ساعده، وأبوك كان بيحبه جدًّا، و يا مـا قـال عنه إنه راجل طيب وأمين.

- والله إنت ما عارف حاجة، إنـت أصـلك مـش عـارف الأشكال دي.

- حتى لو كلامك صح، وهو هايكسب كتير من فلوسي، طب ما أنا كمان كسبان يا أخي..

- هاتكسب إيه بقى إن شاء الله؟

- هاكسب عمل الخير.

ومـرة أخـرى ينفجـر "عبـد العزيـز" ضـاحكًا ليقـول في سخرية شديدة:

- عمل الخـير! والخـير ده بقـى إن شـاء الله هايبنيلـك عمارة ولا هايفرشلك شقة، يا ابني فوق بقى، فوق وسـيبك مـن الهبل اللي إنت فيه ده ما تبقاش عبيط..

- احفظ أدبـك يـا عبـد العزيـز، وبعـدين عبـيط ليـه؟! عشان عايز أعمل خير؟

- أيوه عبيط وستين عبيط، عشان لو إنـت بـتفهم كنـت

فهمت إنه مزنوق.. عارف يعني إيه مزنوق؟ يعني عنده استعداد يعمل أي حاجة عشان يخرج من زنقته، يعني لو قرصت عليه شوية كان هايوافق إنك تدخل شريك معاه وتقاسمه في المكسب.

– بس أنا الحمد لله ربنا مدِّيني كتير ومش محتاج حاجة، هو اللي محتاج المكسب ده عشان يعوض بيه خسارته.

– بقولك إيه؟ والله العظيم لولا إنك أخويا الكبير أنا كنت منعتك من العبط ده بالقوة، ولا حتى حجرت عليك.

– تحجر عليا؟! ليه؟ شايفني مجنون؟

– هو فيه جنان أكتر من كده، نكسب القرش بطلوع الروح، وبدل ما نحافظ عليه نبعتره على الفاضي والمليان.

– ومين قالك إني ما بحافظش على فلوسي؟

– وإنت كده بتحافظ عليها لما تفرَّقها على إبراهيم واللي زيه؟

- لا، أنا فلوسي عند الله، واللي عند ربنا ما بيضيعش..

- مفيش فايدة فيك، إنت يا مجنون يا متدروِش، بس أنا ليا معاك إنت وأمك حساب تاني.

وانطلق "عبد العزيز" ثائرًا إلى البيت، وصعد الدرج في عصبية شديدة، وفتح الباب وصفقه بعنف وتوجه مباشرة إلى أمه، ودخل يهتف في غضب:

- عاجبك عمايل المجنون ابنك؟

- مين؟ سيد؟!

- هو في غيره؟

- ماله بس؟ حصل إيه تاني؟

- أنا ما اعرفش إنتي جبتيه من أي مستشفى مجانين، مستحيل يكون ده أخويا أبدًا.

- عيب يا عبد العزيز ما تتكلمش كده على أخوك الكبير.

- وهو يعني مش عيب لما يفرق فلوسه على شوية نصابين؟ ده كل واحد يجيله يتمسكن ويقوله أنا مزنوق في قرشين يقوم ابنك الأهبل يكبش ويديله، ليه؟ كنا لاقيين الفلوس دي؟ ولا يمكن فاتحينها تكية؟

- هو بس كان حصل إيه لكل ده؟

- النهاردة جه الراجل ده صاحب أبويا اللي اسمه إبراهيم، تاجر موبيليا كبير ومعاه فلوس بالكوم، جاي يستغفل ابنك العبيط وياخد منه 15 ألف جنيه سلف، قال إيه مزنوق ومفلس وهايبيع المحل، وافهّم في ابنك الأهبل لا عايز يفهم ولا عايز يتنصح، شوفيلك صِرفة معاه، أنا حذرته وبحذرك إنتي كمان، يا تعقّليه، يا إما أنا هاعرف أعقّله إزاي..

وانطلق ثائرًا وترك أمه تبكي بشدة، حتى دخلت عليها

"ليلى" ابنة اختها التي تربيها بعد وفاة والديها، دخلت "ليلى" لتجدها تبكي بحرارة، فقالت لها مواسية:

- معلش يا خالتي، ما تزعَّليش نفسك، دلوقتي لما عبد العزيز يهدى هايندم على الكلام اللي قاله، وهايجي يقولك حقك عليَّا ويبوس راسك كمان، خلاص بقى مالوش لزوم العياط، ما تزعَّليش روحك..

ردَّت عليها في أسى:

- أنا مش بعيَّط عشان زعلانة..

- أُمَّال بتعيطي ليه دلوقتي؟

- أنا بعيَّط عشان خايفة.

- خايفة من إيه؟

- خايفة على سيد، عبد العزيز طول عمره ابن سوق، ناصح وواعي ويعرف يجيب الجنيه من بق الأسد، ويعرف ياخد حقه ولو بدراعه، لكن سيد، سيد هو اللي أنا خايفة

عليـه، هـايعيش إزاي بطيبتـه دي في الـدنيا؟ الـدنيا دي مـش عايزة الطيب اللي زيه، الدنيا عايزة اللي ما يسيبش حقـه ومـا ينضحكش عليه زي عبد العزيز كده تمام.

أخذت "ليلى" تواسيها وهي تقول:

– معلش بقى يا خالتي، اهـدى إنـتي بـس وأنـا هـاقوم أعملك فنجان قهوة يعدل مزاجك.

وقامت تعد القهوة وبعد ساعة كان الحـاج "إبـراهيم" في "اللوكاندة" يحضر القهوة مع "سيد" وهو يقول:

– والله يا سيد يا ابني مـا عـارف أرد جميلـك ده إزاي، جميلك ده هايفضل فوق راسي لحد ما أموت.

– مـا تقـولش كـده يـا حـاج إبـراهيم النـاس لبعـضيها برضه، وأنا ما عملتش غير الواجب.

– لا يا ابني ده لا واجـب ولا حاجـة، إنـت بـس اللـي طيب ومعدنك أصيل.



وأخرج الحاج "إبراهيم" إيصالاً كتب بها عدة سطور وقام بالتوقيع آخره وأعطاه لسيد قائلاً:

- وده بقى وصل بالمبلغ عشان تضمن حقك.

- كلام إيه ده يا حاج؟ معقول آخد عليك وصل؟!

- وهو يا ابني عيب ولا حرام؟ ده ربنا اللي قال إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمًّى فاكتبوه، ولا عايزنا نخالف كلام ربنا؟

- أستغفر الله، دا إحنا مش طمعانين غير في رضاه، بس الدار أمان، يعني هو إنت غريب يا حاج؟

- معلش يا ابني محدِّش ضامن عمره، امسك بقى ما تغلِّبنيش واشرب قهوتك قبل ما تبرد.

أمسك "سيد" الورقة وشرب القهوة وانصرف مع الحاج "إبراهيم"، الذي سافر على الفور ليحضر بضاعته، وبعد عدة أسابيع استطاع أن يجدد "الموبيليا" القديمة ويبيع بعضها،

حتى تحصل على أكثر من قدر الدين، فأخذ قيمة المال الذي اقترضه من "سيد" وذهب إلى القاهرة على الفور، ولما توجه لمتجر العطارة ليرد الدين وجده مغلقاً على غير العادة، فسأل صاحب المتجر المجاور:

- سلام عليكم..

- وعليكم السلام..

- هو سيد ما فتحش المحل النهاردة؟

- سيد؟! قصدك سيد عبد الله؟

- أيوه سيد أخو عبد العزيز.

- هو إنت ما عرفتش اللي حصل؟

- لا والله، أصلي مش من البلد، هو حصل إيه؟

- سيد وأخوه عبد العزيز تعيش إنت.

- إنت بتقول إيه؟!

- شد حيلك، من يومين راحو يجيبوا بضاعة للمحل وعملوا حادثة بالعربية وهما راجعين وماتوا هما الاتنين، البقاء لله.

هوى الخبر كالصاعقة على الحاج "إبراهيم" الذي وقف مبهوتًا وكأنما تحجرت رجلاه، والدموع تنهمر من عينيه بغزارة وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه، وأخذ يردد في ذهول:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون..

ثم تحامل على رجليه واتجه إلى منزلهما وهو يجر قدميه جرًّا، ثم صعد الدرج وطرق الباب لتفتح له "ليلى" وهي محمرة العينين من أثر البكاء، فبادرها قائلاً:

- سلام عليكم، الحاجة أم سيد موجودة؟

أفسحت له الطريق وهي تقول:

- أيوه اتفضل.

وقادته إلى حجرتها، ليجد المرأة في حالة يرثى لها

فاقترب منها وهو يقول:

- البقاء لله، شدِّي حيلك أمَّال.

- الشدة على الله يا حاج.

- سامحيني يا حاجة، والله ما عرفت الخبر غير دلوقت، وأول ما عرفت اللي حصل جيت على طول.

- فيك الخير يا حاج، ما نجيلكش في حاجة وحشة.

- أنا أصلي كنت جايب معايا مبلغ كده كنت سالفه من سيد الله يرحمه، مبلغ كنت قصدته فيه عشان أفك زنقتي، وعمل فيا جميل عمري ما هانساه أبدًا -الله يرحمه- هو اللي خلاني أقف على رجليا من تاني بعد ما كان بيتي هايتخرب، ربنا يرحمك يا سيد ويكرمك زي ما كرمتني، دا أنا كنت جاي أردله الفلوس في المحل، لكن بقى...

وتوقف عن الكلام بغتة وانهمرت الدموع من عينيه، فانفجرت هي الأخرى في بكاء عنيف، فقال لها في إشفاق:

- كفاية بقى يا حاجة، البكا مـا بيرجعـش اللـي راح، كفاية هاتموِّتي روحك من الزعل.

ردت عليه في أسى:

- أنا مش بعيط عشان زعلانة.

- أمَّال بتعيطي ليه دلوقتي؟

- أنا بعيط عشان خايفة..

- خايفة؟! من إيه؟

- خايفة على عبد العزيز، سيد طول عمره طيب وبتـاع ربنا، كان بيحب الخـير وعمـره مـا بخـل علـى محتـاج، وهـو دلوقتي عند ربه اللي أحن عليه مننـا، وإن شـاء الله هايجازيـه خير على كل اللي عمله، لكن عبد العزيز، عبد العزيز هو اللي أنا خايفة عليه، يا ترى هو فين؟ وحسابه إزاي؟ يا ترى مرتاح ولا بيتعذب؟ ده مفيش حاجـة بتنفـع الـبني آدم في آخرتـه إلا عمله الصالح، زي ما كان سيد بيعمـل تمـام، كـان دايمًـا يعمـل الطيب ويساعد المحتاج ويدي الغلبان، وكل ده كان لوجـه الله.

الفهرس

مقدمة الناشر 5

100جنيه 11

سوف أصنع طائرة 35

ساهرب معه 49

تحت وفوق 65

ضربة معلم 79

لوجه الله 95



سوف
أصنع طائرة



هشام فايز

.. انى استطيع ان اصنع الطائرة..

ليس من اجل الشهرة ولا المجد، ولكن لامنح السعادة للناس بهذا العمل العظيم..

ولكنى اصبحت عاجزة تماما عن فعل اى شئ له قيمة، فالاعمال العظيمة تتطلب إمكانات ومعدات وتجارب ودعما ماديا، وهذه الأشياء لا تتوفر إلا للقليل من الناس..

وهؤلاء فقط هم الذين لديهم القدرة على ان يصبحوا من العظماء، وان يؤثروا فى الحياة ويغيروا التاريخ..

أما انا، فمهما حاولت، لن استطيع ان افعل شيئا ذا قيمة..

لقد اصبحت مدفونة هنا بلا هدف، او معنى لحياتى !..



مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرا، إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصا منها على استمرارها في دورها، وإيمانا منها - كما عهدتموها- بالشباب الموهوب..

ليصبح بين أيديكم، هذا الكتاب.

الناشـــر

